جامعة إفريقيا العالمية
عمادة الدراسات العليا
كلية الدراسات العليا
قسم التفسير و علوم القرءان

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

بعنوان :

المناسبات في القرءان الكريم من خلال تفسير الإمام السعدي في الجزء الخامس

(دراسة وصفية)

إعداد الطالبة :

ناهد الطاهر أحمد محمد

إشراف الدكتور :

عمر محمد عبد الرحيم عمر شبيعان

1438هـ - 2017م

جامعة إفريقيا العالمية

عمادة الدراسات العليا

كلية الدراسات العليا

قسم التفسير و علوم القرءان

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان :

المناسبات في القرءان الكريم من خلال تفسير الإمام السعدي في الجزء الخامس (دراسة وصفية)

إعداد الطالبة : ناهد الطاهر أحمد محمد

إشراف الدكتور : عمر محمد عبد الرحيم عمر شبيعان

1438هـ - 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإستهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾

صدق الله العظيم النحل:103

إهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره ...

إلى كل الباحثين من أجل المعرفة ...

إلى كل من ساندني و أعانني حتى أتى هذ الخراج أُكله ...

إلى أُسرتي الكريمة ...

شكر و عرفان

الشكر أجزله إلى المولى عز وجل أولاً و آخراً الذي وفقني إلى التسديد و المقاربة في إكمال هذه الدراسة ثم الشكر موصول إلى هذه الجامعة العريقة المعطاءة(جامعة إفريقيا العلمية) و على وجه الخصوص كلية الدراسات الإسلامية _ قسم التفسير و علوم القرءان _ و خالص الشكر ووافره إلى الدكتور الجليل عمر محمد عبد الرحيم عمر شبيعان المشرف على هذا البحث الذي بذل معي الكثير من الجهد المقدر ليس في هذا البحث بل خلال ثلاث سنوات من الدراسة .كما أُقدم الشكر الجزيل للدكتور علي حسن المكي لتقبله تقويم هذه الر سالة .

و من خلف هؤلاء جميعاً أُقدم شكري إلى زملائي الذين عاونوني بالكثير من الدعم و إلى أُسرتي على صبرهم و تشجيعهم لي و لكل من ساهم و شارك أو شجع على إنجاز هذا العمل ، و الشكر من قبل و من بعد لله رب العالمين .

المستخلص

جاءت هذه الرسالة بعنوان [المناسبات في القرءان الكريم من خلال تفسير الإمام السعدي في الجزء الخامس من القرءان الكريم ، دراسة وصفية].

و قد أبرزتُ عناية الإمام السعدي بمناسبات القرءان و تتبعتُ ما في الجزء الخامس التي ذكرها مما أحوج الباحثة إلى إتباع المنهج الإستقرائي و الوصفي فيها ، و طبيعة هذا الموضوع أستلزم تقسيمه إلى خمسة فصول تتناولت الباحثة في الفصل الأول أساسيات البحث و الدراسة ، كما جاء في الفصل الثاني التعريف بعلم المناسبات و فوائدها و أنواعها ، و أقوال العلماء فيها ، و تناول الفصل الثالث التعريف بالإمام السعدي و منهجه في التفسير و إبراز المناسبات ، أما الفصلين الرابع و الخامس فقد خصصته الباحثة إلى أوجه المناسبات في الجزء الخامس مع التعريف بسورة النساء و أهم مقاصدها ، . و أهم ما توصل إليه هذا البحث هو أن الإمام السعدي من أئمة علماء التفسير الذين لهم الدور الكبير في إبرازأوجه الإرتباط بين الآيات و أجزاء الآية و السورة ، و بيان معاني القرءان و كشف أسراره بإسلوب سهل و عبارة جزلة مع تميزه بإسلوب خاص و عبارات تعرف بها المناسبات . و توصي الباحثة بإعداد المزيد من الدراسات و البحوث العلمية حول موضوع المناسبات ، و كذلك إعداد دراسات متأنية في تفسير الإمام السعدي لإستخراج ما بينه من دُرر المناسبات و ربطه البديع للآيات و المقاطع .

Abstract

This letter was entitled [Occasions in the Holy Quran through the interpretation of Imam Saadi in the fifth part of the Koran, a descriptive study.[

And highlighted the attention of Imam al-Saadi in the events of the Koran and traced what in the fifth part mentioned by the researcher is more in need to follow the method of inductive and descriptive, and the nature of this subject has to be divided into five chapters dealt with the researcher in the first chapter the basics of research and study, The second chapter deals with the science of occasions, their benefits and types. The third chapter deals with the definition of Imam al-Sa'di and his method of interpreting and presenting occasions. The fourth and fifth chapters are devoted to the aspects of the events in Part 5with the definition of women and its main purposes. ,. The most important conclusion of this research is that Imam al-Saadi is one of the imams of the scholars of interpretation who have a great role in highlighting the correlation between verses and parts of the verse and the sura, and the statement of the meanings of the Qur'an and the disclosure of his secrets in an easy manner, Known by events. The researcher recommends the preparation of more studies and scientific research on the subject of events, as well as the preparation of careful studies in the interpretation of Imam al-Saadi to extract the meaning of the derricks of events and linking the wonderful verses and sections.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان ثم علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

القرآن الكريم من أعظم الكتب وأجلها على الإطلاق فهو المعجزة الخالدة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودستورالأمة، لذا فقد حظي باهتمام كبير من العلماء والدارسين الذين عكفوا على دراسته فاستخرجوا الأحكام واستنبطوا المعاني والعبر وكشفوا أسراره وبلاغته ومن أجل ذلك شدوا الرحال وأنفقوا المال وألفوا العديد من الكتب والمعاجم والتفاسير التي ما زالت مرجع لكل من أتى بعدهم فجزاهم الله خير الجزاء.

وفي هذه الدراسة بيان لوجه من أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، حيث تناولت علم التناسب أو المناسبات ، التي تعين على تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه ، وتذوق جمال أسلوبه ، وحسن نظمه وإبداعه ، مما يدحض شبهات المستشرقين والمعاندين ، كذلك يقف هذا البحث على عدد من القضايا الاجتماعية التي عالجتها سورة النساء في الجزء الخامس من القرآن الكريم وذلك من خلال تفسير كتاب " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " للإمام ، عبد الرحمن ناصر السعدي ،الذي يُعد من أميز ، و من تفرد بإبراز المناسبات في التفسير.

نسأل الله أن ينفع به ونسأله القبول فهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول

أساسيات البحث و الدراسة

يتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أسباب إختيار الموضوع – أهمية البحث – أهداف البحث – مشكلة البحث – أسئلة البحث .

المبحث الثاني : فروض البحث – منهج البحث – حدود البحث – مُصطلحات البحث – وسائل و أدوات البحث .

المبحث الثالث : الدراسات السابقة – مساهمة البحث في الفكر الإنساني – هيكل البحث .

المبحث الأول : أسباب إختيار الموضوع ، أهمية البحث ، أهداف البحث ، مشكلة البحث و أسئلته

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

طُرح هذا المشروع من قبل الجامعة فاختارته الباحثة لأنه يتميز بالآتي:

- يتناول علم المناسبات الذي يعد من العلوم المهمة التي تعين على فهم وتدبر القرآن الكريم وما يحويه من ترابط وتناسق.
- إبراز ما قام به سلف هذه الامة في خدمة الكتاب العزيز
- حب الباحثة للقرآن الكريم وما يتعلق به من علوم

ثانياً : أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث في تعلق موضوعه بعلوم القرآن الكريم ، ثم أنه يتناول موضوع المناسبات الذي يعد من العلوم الجليلة التي تعين المفسر للوصول إلى المعنى الصحيح المترابط مع مقصد السورة ، ولكون هذا البحث في " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (تفسير السعدي) الذي يعد من التفاسير المهمة التي تتسم بالإيجاز والإجمال مع وضوح العبارة وقوة المعنى وزارة الفائدة .

ثالثاً : أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

- الوقوف على معرفة علم المناسبات وأهميته وفوائده
- توضيح أقوال العلماء وآراؤهم في علم المناسبات مع بيان أرجحها
- الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من حيث نظمه وترتيب آياته داخل السورة وبين السورة وفاتحة السورة وخاتمتها وعلاقة السور ببعضها وغيرها من أسرار التناسب
- الوقوف على حياة عالم جليل من علماء التفسير ومعاصريه (الشيخ عبد الرحمن السعدي)
- إبراز جهود الشيخ السعدي في بيان تناسب الآيات والسور في القرآن الكريم وفي الجزء الخامس خاصة

رابعاً : مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في طرح السؤال الآتي: ما هي جهود الإمام السعدي في إبراز المناسبات في (الجزء الخامس من القرآن الكريم) ؟

خامساً : أسئلة البحث:

- ما المقصود بالمناسبات ؟
- ما هي أهمية علم المناسبات وما هي أقوال العملاء وآرائهم فيه؟

- من هو الإمام السعدي؟

- ما هي جهود الامام السعدي في إبراز المناسبات في الجزء الخامس من القرآن الكريم ؟.

المبحث الثاني : فروض البحث ، منهج البحث ، حدود البحث مـ ُصطلحات البحث ووسائل و أدوات البحث

أولاً : فروض البحث :

- علم المناسبات من علوم القرآن الكريم الهامة التي تعين على التدبر وفهم القرآن الكريم ومعرفة مقاصد السور والآيات .
- للعلماء أقوال متباينة في علم المناسبات .
- الإمام الجليل عبد الرحمن السعدي من العلماء الذين لهم دور كبير في تفسير القرآن الكريم وبيان أسراره وكشف معانيه بأسلوبه المتميز .
- كما أن له جهوداً .عظيمةً في إبراز المناسبات في القرآن الكريم وخاصةً في الجزء الخامس منه .

ثانياً : منهج البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن تستخدم الباحثة المنهج الإستقرائي لجمع المعلومات من مظانها ثم المنهج الوصفي والتاريخي للتعريف بالإمام السعدي والمجتمع الذي عاش فيه، كما استخدمت المنهج التحليلي لتحليل المعلومات و إستنباط أنواع التناسب والتناسق والترابط عند الإمام السعدي في الجزء الخامس .

ثالثاً : حدود البحث:

حدود هذا البحث موضوعية لتضمنها علم المناسبات ، ومكانية حيث أنها تجري في إبراز المناسبات في تفسير الإمام السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في الجزء الخامس من القرآن الكريم .

رابعاً : مصطلحات البحث :

علم المناسبات : هو علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض .

خامساً : وسائل و أدوات البحث :

لجأت الباحثة إلى عدد من الوسائل التي تعين في جمع مادة هذا البحث ، حيث تستقيها من كتب التفسير والحديث والدراسات السابقة والبحوث المحكمة إلى جانب البرامج إلكترونية و الإنترنت.

المبحث الثالث : الدراسات السابقة – مساهمة البحث في الفكر الإنساني و هيكل البحث

أولاً : الدراسات السابقة :

الدارسة كغيرها من الباحثين كان لابد لها من الرجوع على من سبقها في هذا المجال من أئمة علماء التفسير من سلف هذه الامة، وكذلك كتب المعاصرين الذين أسهموا كثيراً، وبحثوا ونقبوا في كتاب الله تعالى، كما استعانت الباحثة بالرسائل الجامعية والبحوث العلمية المحكمة والمواقع الإلكترونية ، ومن هذه الدراسات:

الدراسة الأُولى :

الوحدة الموضوعية في السور القرآنية ، هالة هاشم أبو زيد ، جامعة أفريقيا العالمية ، كلية الدراسات الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تفسير علوم القرآن، 1433هـ 2012م.

وجه الإتفاق بين الدراستين :

تناولت الدراسة السابقة وحدة القرءان الموضوعية ، وهذه الدراسة الهدف منها هو ، الوصول إلى الترابط و التناسق الذي يظهر بمعرفة المناسبات بين الآيات و السور ، و المقاطع .

وجه الإختلاف بين الدراستين:

تناولت الدراسة السابقة الوحدة الموضوعية في القرءان الكريم ، و هو موضوع عام ، بينما

تخصصت هذه الدراسة الحالية ، جانباً من وحدة في القرءان القرءان الموضوعية ، و هو المناسبات . و خاصة في تفسير السعدي و في الجزء الخامس من القرءان .

الدراسة الثانية :

المناسبات بين جمل وآيات سور (يوسف – الرعد – إبراهيم) ، دراسة تحليلية ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، عثمان محمود موسى ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية .

وجه الإتفاق بين الدراستين :

إتفقت الدراستان ، في تناولهما للجانب النظري للمناسبات .

وجه الإختلاف بين الدراستين :

تناولت الدراسة السابقة المناسبات في ، سورة يوسف ، و الرع ، و إبراهيم ، بينما هذه الدراسة الحالية في الجزء الخامس من القرءان الكريم ، الذي يتضمن جزءاً من سورة النساء . كما أن الدراسة السابقة كانت دراسة تحليلية ، وهذ الدراسة وصفية .

الدراسة الثالثة

المناسبات بين الآيات والسور في تفسير روح المعاني للإمام الألوسي من بداية الجزء العاشر إلى نهاية الجزء الثاني عشر، دراسة تحليله ، مقدم لنيل درجة الماجستير، آدم الطاهر خميس ، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية ، 1434هـ –2012م .

وجه الإتفاق بين الدراستين :

إتفقت الدراستان في كونهما عن المناسبات و في الجانب النظري منها خاصةً .

وجه الإختلاف بين الدراستين :

الدراسة السابقة كانت من بداية الجزء العاشر ، إلى الجزء الثاني عشر ؛ من خلال تفسير روح المعاني ؛ بينما تناولت هذه الدراسة الجزء الخامس من خلال تفسير الإمام السعدي .

الدراسة الرابعة :

المناسبات في استعمال أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية في سورة الحشر، بحث مقدم لدرجة الماجستير في علوم القرآن الكريم ، أدي نبل الهدى عبد الفتاح ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، 1430- 2009م .

وجه الإتفاق بين الدراستين :

إتفقت الدراستين في الجانب النظري للمناسبات .

وجه الإختلاف في الدراستين :

الدراسة السابقة كانت عن نوع واحد من أنواع المناسبات وهو ، أسماء الله الحسنى في القرءان الكريم ، دراسة موضوعية في سورة الحشر ؛ وهذه الدراسة تناولت كل أنواع المناسبات في الجزء الخامس من القرءان ، دراسة وصفية ،و من تفسير السعدي خاصةً .

الدراسة الخامسة :

المناسبات بين الآيات والسور في تفسير روح المعاني للألوسي من الجزء السادس عشر الي الجزء الثامن عشر من القران الكريم للباحث محمد فردوس وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير جامعة القران الكريم والعلوم الاسلامية–السودان 1434هـ /2013م اشراف الدكتور ابراهيم عبدالله.

وجه الإتفاق بين الدراستين :

تشابهت الدراستين الي حد كبير في الجانب النظري لعلم المناسبات .

وجه الإختلاف بين الدراستين:

الدراسة السابقه كان موضوعها في ثلاثة أجزاء بينما تركزت الدراسة الحالية في جزء واحد عند الإمام السعدي في تفسيره تيسير الكريم المنان دراسة إستقرائية في الجزء الخامس من القرءان الكريم .

الدراسة السادسة :

المناسبات بين جمل القر ءان واياته في سورتي مريم وطه دراسة تحليلية ، للباحثة تقوي فضل الله مرحوم وهوبحث مقدم لنيل درجة الماجستير جامعه القر ءان الكريم والعلوم الاسلاميه السودان 1436 –2014م إشراف الدكتور فيصل الطاهر خلف الله .

وجه الإتفاق بين الدراستين:

إتفقت الدراستين في الجانب النظري لعلم المناسبات النموذج التطبيقي للدراستين .

وجه الإختلاف بين الدراستين :

أن الدراسة السابقة إختلفت مع الدراسة الحالية في أنها تناولت سورتي ، مريم و طه ، بينما هذه الدراسة تناولت الجزء الخامس ،الذي يشمل جزءاً كبيراً من سورة النساء .

الدراسة السابعة :

علم المناسبات عن بأي حيان و أبي العود تفسيرهما البحر المحيط وإرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الجزء السادس عشر والجزء السابع عشر والثامن عشر من القرءان ، للباحث عبدالباقي أحمد التجاني وهوبحث مقدم لنيل درجة الماجستير جامعة القرءان الكريم والعلوم الاسلاميه ، السودان 1437_2016م اشراف الدكتور حمزه حسن سليمان صالح .

وجه الإتفاق بين الدراستين:

يتشابه البحثان في دراستهما في الجانب النظري للمناسبات .

وجه الإختلاف بين الدراستين:

الدراسة السابقة موضوعها الأساسي موازنة أو مقارنة بين الإمامين بأي حيان و أبي السعود ؛ بينما هذه الدراسة الحالية تحدثت عن المناسبات في تفسير السعدي في الجزء الخامس .

الدراسة الثامنة :

المناسبه بين فواتيح السور وخواتيم سور القرءان رساله مقدمه لنيل درجة الماجستير إعداد رقية أحمد الشيخ ، إشراف الدكتور أحمد علي الإمام جلعة القرءان الكريم والعلوم الاسلامية 1419هـ_1998م.

وجه الإتفاق بين الدراستين :

تشابهت الدراستين في الجانب النظري للمناسبات وان موضوعها كان في عموم القران.

وجه الإختلاف بين الدراستين:

الدراسة السابقة كانموضوعها عام و أنها تناولت نوع واحد من أنواع المناسبات ،و أنها كانت متضمنة ثلاث فصول ؛ بينما تركزت الدراسة الحالية في جميع أنواع المناسبات في الجزء الخامس في خمسة فصول متضمنة المشتملات .

الدراسة التاسعة :

المناسبة بين الايات والسور عند الإمام الفخر الرازي من سورة الرعد الي سورة الحج دراسة تحليلة رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ، إعداد الطالب مسروحين ، إشراف الدكتور السر الطاهر محمد الماحي جامعة القرءان الكريم والعلوم الاسلامية دائرة القرءان الكريم والدراسات الاسلامية شعبة التفسير وعلوم القران 1434هـ_2013 م .

وجه الإتفاق بين الدراستين:

تشابهت الدراسة السابقة مع الدراسة الحالية في الجانب النظري فيما يختص بعلم المناسبات .

وجه الإختلاف بين الدراستين:

إختلفت الدراسة السابقة في أنها تحدثت عن المناسبات بين الآيات والسور عند الفخر الرازي بينما تركزت الدراسة الحالية في أنواع المناسبات عند الإمام السعدي ، و كذلك تناولت الدراسة السابقة ثلاثة أجزاء مقسمة إلي قسمين القسم يحتوي علي مباحث ومطالب والقسم الثاني تناول السور من

الرعد إلى الحج ، والدراسة الحالية تناولت جزء واحد واتبعت المنهج الإستقرائي والتحليلي والإستنباطي.

ثانياً : مساهمة البحث في الفكر الإنساني :

يساهم هذا بلحث على فهم القرآن الكريم وتدبره وا ٍبراز جوانب الإعجاز فيه، كما يساهم في ترقية الفهم والسلوك الصحيح في التعامل مع كثير من القضايا الإجتماعية التي عالجتها سورة النساء خاصة الجزء الخامس من القرآن الكريم وا ٍبراز جهود العلماء في بيان علم المناسبات والرد على شبهات المعارضين للقرآن.

ثالثاً : هيكل البحث :

إشتمل هذا البحث على خمسة فصول تضمنت عدداً من المباحث و المطالب كالآتي:

الفصل الأول: أساسيات الخطة وبه ثلاثة مباحث هي كالآتي:

المبحث الأول: يشمل أسباب إختيار الموضوع – أهمية البحث وأهداف البحث – مشكلة البحث

المبحث الثاني: فروض البحث – منهج البحث – حدود البحث – مصطلحات البحث ، ووسائل و أدوات البحث .

المبحث الثالث: الدراسات السابقة – مساهمة البحث في الفكر الإنساني ، و هيكل البحث .

الفصل الثاني: بعنوان : المناسبات في القرءان الكريم و به ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم المناسبات و نشأة علم المناسبات

المبحث الثاني : أنواع المناسبات

المبحث الثالث : فوائد المناسبات و أقوال العلماء فيها

الفصل الثالث : التعريف بالسعدي ومنهجه في تفسير القرءان الكريم

المبحث الأول : التعريف بالإمام السعدي

المبحث الثاني : منهج السعدي في التفسير

المبحث الثالث : منهج السعدي في إبراز المناسبات

الفصل الرابع : أوجه المناسبات في سورة النساء من الآية (24 إلى 87)

المبحث الأول : التعريف بالسورة و أوجه المناسبات من الآية (24 إلى 87)

المبحث الثاني : أوجه المناسبات من الآية (36 إلى 59)

المبحث الثالث : أوجه التناسب من الآية (60 إلى 87)

الفصل الخامس : أوجه المناسبات من الآية (88 إلى 147)

المبحث الأول : أوجه المناسبات من الآية (88 إلى 113)

المبحث الثاني : أوجه المناسبات من الآية (114 إلى 130)

المبحث الثالث : أوجه المناسبات من الآية (131 إلى 147)

الخاتمة:

وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته + المصادر والمراجع والفهارس

الفهارس وتشمل :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية الآثار
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الأعلام
- فهرس شرح الغريب و المصطلحات
- فهرس المصادر و المراجع
- فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

المناسبات في القرءان الكريم

و يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث :

المبحث الأول : مفهوم المناسبات و نشأة علم المناسبات .

المبحث الثاني : أنواع المناسبات .

المبحث الثالث : فوائد المناسبات و أقوال العلماء فيها .

المبحث الأول

مفهوم المناسبات و نشأة علم المناسبات

المطلب الأول : مفهوم المناسبات

أ /مفهوم المناسبات لغةً :

تحمل كلمة تناسب و مشتقاتها ، مدلولات عديدة في لغة العرب ، نذكر بعضاً مما جاء في معاجم و أقوال علماء اللغة .

ففي كتاب المفردات في غريب القرآن يقول الراغب الأصفهاني[1] :

(النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان : نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة ، وبني الأعمام . قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان(54) . وقيل: فلان نسيب فلان. أي: قريبه، وتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر،

---

[1] الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من كتبه ، و (المفردات في غريب القرآن) ، و (تحقيق البيان – خ) في اللغة والحكمة، و (أفانين البلاغة). أُنظر، الأعلام للزركلي المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة – أيار / مايو 2002 م ، (2/ 255) .

2 / المفردات في غريب القرآن ، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ،الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – 1412 هـ .

ومنه: النسيب ، وهو الانتساب في الشعر إلى المرأة بذكر العشق ، يقال: نسب الشاعر بالمرأة نسبا ونسيبا[2]) .

و قد ذُكر في القاموس المحيط كذلك :

(النسب محركة والنسبة بالكسر والضم : القرابة أو في الآباء خاصة . واستنسب : ذكر نسبه . والنسيب : المناسب وذو النسب كالمنسوب . ونسبه ينسبه وينسبه نسبا محركة ونسبة بالكسر : ذكر نسبه وسأله أن ينتسب و بالمرأة نسبا ونسيبا ومنسبة : شبب بها في الشعر . والنساب والنسابة : العالم بالنسب . وهذا الشعر أنسب أي أرق نسيبا . ونسيب ناسب كشعر شاعر . وأنسبت الريح : اشتدت واستافت التراب والحصى .

والنسيب كحيدر : الطريق المستقيم الواضح كالنيسبان أو ما وجد من أثر الطريق والنمل إذا جاء منها واحد في إثر آخر وطريق للنمل ورجل . وشعر منسوب : فيه نسيب... ، مناسيب. وتنسب : ادعى أنه نسيبك ومنه : القريب من تقرب لا من تنسب . والمناسبة : المشاكلة . ونيسب بينهما نيسبة : أقبل وأدبر بالنميمة وغيرها ،نسبني فانتسبت إليه وا إلى فلان اعتزى)[1].

و ذكر الكفوي[2] بعض الفروق لبعض معاني الكلمات التي تقارب التناسب في المعنى و أوضح أن التناسب أو المناسبة أعم ، فقال :

---

[1] / القاموس المحيط المؤلف: العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة 817 هـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م ، (ص: 176) .

[2] / محمد بن حيدر، أبو الفيض الكفوي: متأدب، من علماء الدولة العثمانية. من أهل (كفه)... من كتبه (حدائق الاخيار في حقائق الأخبار) ... , . (1053 هـ – 1643 م) . أُنظر ، الأعلام للزركلي . الأعلام للزركلي (6/ 111) .

(المشاكلة هي اتفاق الشيئين في الخاص ، كما أن المشابهة اتفاقهما في الكيفية ، و المساوة اتفاقهما في الكمية ، و المماثلة اتفاقهما في النوعية ، و قد يراد من المشاكلة التناسب المسمى بمراعات التنظير ، أعني جمع أمر من أمر يناسبه لا بالتضاد (و الموازنة اتفاقهما و جميع المذكورات ، و المناسبة أعم من الجميع) [1].

مما سبق يتبين أن التناسب في اللغة بمعنى التقارب والترابط والتشاكل والاتصال والموافقة والملائمة وعدم الاختلاف .

ب / مفهوم المناسبات في الإصطلاح

للعلماء عدة تعريفات لمصطلح التناسب في القرءان الكريم نذكر بعضاً منها ؛ يقول العلامة السيوطي[2]:

(المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه) [3].

وقال الزركشي[1]:

---

[1] / الكليات : أيوب بن موسى الحسيني القويمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي ، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت (ص: 843) .

[2] / هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد، السيوطى الشافعى، المسند المحقق، ، و لِدُد فى رجب سنة 849 هـ (تسع وأربعين وثمانمائة) ، ..وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيراً من المتون ، وأخذ عن شيوخ كثيرين... ، له نحو ستمائة مصنف منها : الكتاب الكبير ، و الرسالة الصغيرة ، و الإتقان في علوم القرءان . أُنظر ، التفسير والمفسرون المؤلف : الدكتور محمد السيد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص (4/ 39) ، و الأعلام للزركلي ص (6/ 60) .

[3] / الإتقان في علوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1394هـ/ 1974 م ، (ص : 289) .

(ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول)[2].

وقال ابن العربي [3] في "سراج المريدين":

(ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه)[4].

وقال البقاعي[5]:

(وعلم المناسبات – الأهم من مناسبات القرآن وغيره– علم تعرف منه علل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه ، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة

---

[1] / محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون ، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) . الأعلام للزركلي ، ج : 6 ، (ص: 60) .

[2] / البرهان في علوم القرآن القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، 1376 هـ – 1957 م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (1/ 35) .

[3] / أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي ، الإمام العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر بن العربي ، المعافري الإشبيلي ، صاحب السنن والعارضة على الترمذي ، توفي سنة ثلاث وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ،المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ،المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ، 1405هـ – 1985م ، (39/ 191) .

[4] / نقلا عن الإتقان في علوم ، (3/ 369) .

[5] / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ، بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية،. له (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – خ) و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور – خ) (809 – 885 هـ = 1406 – 1480 م) ، أُنظر الأعلام للزركلي (1/ 56) .

المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو) [1].

وعرفه بعض المعاصرين فقال :

(والمراد بهذا العلم: بيان وجه ارتباط اللفظة أو الآية أو السورة، أو غيرها مما يحكيه العلماء من أنواع المناسبات) ... وفصل بعضهم أكثر فقال : علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وهذا شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.

[1] / نظم الدرر في تناسب الايات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (1:5) .

المطلب الثاني : نشأة علم المناسبات

المناسبات من أهم علوم القرءان الكريم لما تحويه من أوجه الإعجاز اللغوي و البياني ، و قد استنبطها الكثيرين من علماء التفسير و أشاروا إلى الروابط بين الآيات و السور و الوحدة الموضوعية للسورة . و قد ذكر الإمام السيوطي بداية النشأة فقال :

(أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير[1] شيخ أبي حيان [2] في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته "تناسق الدرر في تناسب السور") [3].

وذكر الإمام الزركشي :

(أن اكثر من إعتنى به الإمام فخر الدين الرازي[4]. وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات

---

[1] / أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ورواية الحديث والتفسير . الأعلام للزركلي (1/ 86) .

[2] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد سنة (745 هـ 1256م)... وتوفي سنة (654 – 1344 م) ، من كتبه (البحر المحيط – ط) في تفسير القرآن . أُنظر الأعلام للزركلي (7/ 152) بتصرف .

[3] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 369) . اُنظر البرهان في علوم القرءان (1 / 35) .

[4] محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي : الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، ولد سنة 606 هـ. وهو قرشي النسب أصله من طبرستان، ومولده في الري وا إليها نسبته،. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) ، الأعلام للزركلي (6/ 313) و أُنظر طبقات النسابين ،المؤلف: بكر

والروابط وقال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا. وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة)[1] .

..وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني [2] أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري[3]. وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى)[4] .

وذكر الذهبي[5]:

(أن الإمام الرازي قد إهتم ببيان المناسبات بين آيات القرءان و سوره حيث قال : (قد قرأتُ في هذا التفسير، فوجدتُ أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض، وهو لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة بل كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة)[1] .

بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد ، الناشر: دار الرشد، الرياض ، الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م (ص: 123) .

[1] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 369) .اُنظر البرهان في علوم القرءان (1 / 35) .

[2] /علي بن محمد بن محمد بن محمد وضاح العراقي الشهراباني البغدادي أبو الحسن الفقيه الحنبلي كمال الدين مولده في أول سنة ثلاث أو أربع مائة ، في عشر التسعين ، فإن سمذوة لكه كان وفي ثلاثين و أربع مائة ، - ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لمحمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ، المحقق : كمال يوسف الحوت ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت و لبنان ، ط1 ، 1410هـ - 1990م . (2/ 221) .

[3] / هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري ، الفقيه ، ولد سنة 238هـ ،و كان إماماً محدثاً ،متقياً ،عالماً بالفقه و الحديث معا، توفي رحمه الله في شهر ربيع الآخر من سنة 324هـ ، أنظر الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، تقديم عبد الله عمر البارودي ، مركز الخدمات والابحاث الثقافية دار الجنان ، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الجنان ، الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988 م الصنائع ، بيروت - لبنان . (ج 5 / ص 550 - 551) .

[4] / البرهان في علوم القرآن (1/ 36).

[5] / محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . حافظ مؤرخ ، علامة محقق ، تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين ' مولده ووفاته بدمشق . أنظر الأعلام للزركلي (ج5 / ص 326) .

و قد ذكر صاحب كتاب مصابيح الدرر :

(جاء بعد ذلك برهان الدين البقاعي ، فأفرد له كتابين كاملين، أعظمهما: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، والثاني: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) ، وهما أهم ما كتب في هذا الباب، وهما عمدة كل من كتب فيه حتى يوم الناس هذا) . وهذا كله فيما يتعلق بتطبيقات علم المناسبة، أما التنظير له، والتقعيد لمسائله ، فثمة كلام حوله متناثر في بطون كتب علوم القرآن، إلا أن المساهمة الأعظم – في تقديرنا – في هذا الباب، هي تلك التي قدمها الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد الفراهي[2] في كتابه المهم (دلائل النظام) [3].

يتضح لنا مما سبق أن علم المناسبة علم قديم بدأ على عهد النبي صلى الله عليه و سلم و امتد إلى عهد الصحابة و التابعين و تابعيهم ولكنه كعلم نشأ على يد الشيخ أبو جعفر ابن الزبير كما ذكر ذلك الشيخ السيوطي رغم ان الشيخ فخر الدين الرازي و غيره من المفسرين قد ذكروا المناسبات في تفسيرهم . و قد امتد هذا العلم و تطور الى عصرنا الحالي .

---

[1] / التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة ،(1/ 209) .

[2] / هو حميد الدين أبو أحمد عبد المحسن الأنصاري الفراهي. ولد سنة 1280هـ (1864م تقريبا) في قرية (فريها) ، حفظ القرآن، وبرع في الفارسية حتى نظم فيها الشعر وهو ابن ستة عشر عاما ، أنظر،مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. للمؤلف عادل بن محمد أبو العلاء . الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة 129 سنة 1425هـ) – (ص: 70) .

[3] / مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (ص: 22) .

المبحث الثاني

أنواع المناسبات

المطلب الأول : المناسبات بين المقاطع و الموضوعات

تميزالقرءان الكريم بإئتلاف و تناسق آياته و ترابطها كأنه نزل جملة واحدة غير منجم من حيث إحكام الربط فلا نجد فرقا بين السور التي نزلت دفعة واحدة كالأنعام و بين السور التي نزلت منجمة كالبقرة مثلا ، فالقرءان كله يتميز بالوحدة الموضوعية بل ، كأنه لوحة فنية بديعة جل من أنشأها .

وقد قسم العلماء التناسب إلى تقسيمات مختلفة تصب كلها في قالب وحدة القرءان الكريم وهي : المناسبات بين المقاطع و الموضوعات ، المناسبات بين السور ، و المناسبات بين الآيات و الفواصل .

أولاً : المناسبات بين المقاطع و الموضوعات

أجمع علماء ألأمة على أن ترتيب الآيات كان توقيفيا من النبي صلى الله عليه و سلم مما يؤكد ضرورة ووجود التناسب بينها ، و يرجع التناسب بين الآيات إلى معنى رابط بينها عام أوخاص ذهني حسي أو خيالي أو غير ذلك وهذا الإرتباط إما أن يكون ظاهرا ، و إما أن يكون غير ذلك كما أورد ذلك الإمام السيوطي .[1]

[1] / أنظر الإتقان في علوم القرءان (ج 3 / ص 371) .

أ / الموضوعات

(مثال ذلك : (الفاتحة – البقرة – آل عمران – النساء و المائدة)

قال بعض الأئمة :و(سورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالر ّبوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية ، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران تكملة المقصود، فالبقرة بمنزلة إقامة الدين على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيه ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى، وأوجب الحج في آل عمران)[1] .

كذلك المناسبة بين سورتي الضحى و الشرح ؛ يقول الإمام السيوطي عن سورة الشرح :

(هي شديدة الاتصال بسورة الضحى؛ لتناسبهما في الجمل؛ ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما... والذي دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ كالعطف على ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ ١١ الضحى : [في الضحى])[2] .

[1] / معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م . (1/ 53) .

[2] / أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع . (ص: 161) .

ب / المقاطع

وقد تفرد السعدي بهذا النوع من المناسبات . و مثال ذلك ما ذكره السعدي – رحمه الله - في بيان قوله تعالى في سورة طه فقوله تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ طه: ١٧ – 23 قال – رحمه :

(لما بين الله لموسى أصل الإيمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوي إيمانه، بتأييد الله له على عدوه فقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ هذا، مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام، فقال موسى:﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ذكر فيها هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة. ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم)[1] .

[1] / تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– للسعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى 1420هـ –2000 م ، (ص: 503) .

المطلب الثاني : المناسبات بين السور

المناسبات بين السور و يشمل المناسبات داخل السورة الواحدة ، و المناسبات بين السور

أولاً : المناسبات داخل السورة الواحدة . وهو أنواع و هي :

أ / موضع السورة

ومثال ذلك :

(سورة أم القرآن ، قد ذكر الناس كيفية تضمنها مجملا لما تفصل في الكتاب بجملته. وهو أوضح وجه في تقدمها سوره الكريمة. ثم هي مما يلزم المسلمين حفظه، ولابد للمصلين من قرائتها، ثم افتتاحها بحمد الله سبحانه. وقد شرع في ابتداءات الأمور، وأوضح الشرع فضل ذلك وأخذ به كل خطيب ومتكلم ، وفيها تعقيب الحمد لله سبحانه بذكر صفاته الحسنى والإشارة إلى إرسال الرسل في قوله، "اهدنا" وقوله "صراط الذين أنعمت عليهم "، وقد قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ الأنعام: ٩٠ وذكر افتراق الخلق بذكر المهتدين، وذكر المغضوب عليهم ولا الضالين، وا ِن ملاك الهدى بيده﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة 5: "وهذا كله أشفى شيء في بيان التقديم)[1] .

[1] / البرهان فى تناسب سور القرآن البرهان فى تناسب سور القرآن . المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ، تحقيق: محمد شعباني ، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب ، عام النشر: 1410 هـ – 1990 م .، (ص: 187) ، (ص: 189) ،اُنظر صفوة التفاسير للصابوني المؤلف: محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م، (ص : 18) .

(وكذلك سورة اقْرَأ لكونها أول ما نزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وا ٍثبات ذاته وصفاته، من صفات ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ العلق: ٥. ولهذا قيل:إنها جديرة أن تُسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله)[1] .

ب / مطلع السورة و خاتمتها

ومثال ذلك ما ذكره السيوطي المناسبة بما بدئت به سورة القصص ، و خاتمتها :

(وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله : ﴿ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ القصص: ١٧ وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعود إليها لقوله: في أول السورة ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ ﴾ القصص:٧ .

قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ وأورد في خاتمتها ﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧) [2].

[1] / معترك الأقران في إعجاز القرآن (1/ 61) .
[2] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 379) .

و يقول – رحمه الله – (الأنفال: افتتحت بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال: ، واختتمت بقوله﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال: ٧٤ .

براءة: افتتحت بقوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ التوبة: ، وختمت بقوله:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ١٢٩ .

يونس: في أولها: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ يونس: ٢ ، وفي آخرها: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ يونس: ١٠٩ .

يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم والحجر كلها مفتتحة بذكر القرآن، ومختتمة به)[1] .

و أيضا نجد المناسبة في مطلع سورة الحشر و خاتمتها مما يبدو في تفسير الإمام البقاعي للآيات الأخيرة منها :

(ولما أعلى سبحانه أولياءه بأن فتح السورة بالإيمان بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل وكل شائبة نقص وينزل لعباده في أسباب الصفات والأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس الأمثال فتأهلوا للفناء في ذاته وما على صفاته الموجبة لخشيته، رقاهم إلى التفكر في تفصيل ما افتتح به، فقال عادلاً عن أسلوب العظمة إلى أعظم منها بإسبال حجب العزة على منهاج الحكمة: ﴿ هُوَ ﴾ أي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له أصلاً بوجه من الوجوه، فلا يستحق

[1] / مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع المؤلف: محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م ، (ص: 51) .

الوصف ب «هو» غيره لأنه الموجوددائماً أزلاً وأبداً ، فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس، فلذلك يتصدع الجبل من خشيته)[1] .

ج / مناسبة تسمية االسورة و افتتاحها بالحروف المقطعة :

يقول الإمام الزركشي :

(ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينه ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وا ن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً ﴾ الأنعام: 142إلى قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ الأنعام: ١٤٤ لم يرد في غيرها)[2] .

و يدخل في تسمية السورة كذلك ، مناسبة إفتتاح السور بالحروف المقطعة و إختصاص كل واحدة بما بـُ دئت به ، و في ذلك يقول الإمام السيوطي :

---

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (19/ 463/ 464) .

[2] / البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 270) .

(ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بُدئت به، حتى لم تكن تر د آلم في موضع آلر ولا حم في موضع طس....وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع " ق " موضع " ن "، لم يمكن، لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله .

وسورة " ق " بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف، من ذلك القرآن، والخلق، وتكرير القول، ومراجعته مراراً، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد والرقيب، والسابق، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، والقلب، والقرون، والتنقيب في البلاد، وتشقق الأرض، وحقوق الوعيد، وغير ذلك ...

واشتملت سورة " ص " على خصومات متعددة، فأولها خصومة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الكفار وقولهم: (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) ثم اختصام الخصمين مع داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم، ثم في شأن بنيه وأغوائهم)[1] .

و كذلك يكون من التناسب :

الترتيب بحسب الحروف كما في الحواميم ، و من ذلك ما ذكره الإمام السيوطي في الإتقان حيث ذكر :

[1] /معترك الأقران في إعجاز القرآن(1/ 55) (1/ 56) . أُنظر البرهان في علوم القرءان للزركشي (ص: 165) .

(... وفي عجائب الكرماني إنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام)[1]

ثانياً : المناسبات بين عدد من السور

وهو أنواع :

أ / مناسبة مطلع السورة مع مطلع ما قبلها

وذلك كما في سورتي الإسراء و الكهف ، فإن الأولى بدأت بالتسبيح و الثانية بدأت بالحمد.

ووجه مناسبة وضعها بعد الإسراء على ما قيل : (افتتاح تلك بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في الميزان وسائر الكلام نحو ﴿ سبحان ربك ﴾ فسبحان الله وبحمده، وأيضا تشابه اختتام تلك، وافتتاح هذه، فإن في كل منهما حمدا، نعم فرق بينهما بأن الحمد الأول ظاهر في الحمد الذاتي، والحمد المفتتح به في هذه يدل على الاستحقاق غير الذاتي)[2] .

و أيضا المناسبة بين سورتي الكهف و مريم .

---

[1] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 387) .

[2] / الأساس في التفسير ، المؤلف سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ) ، الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ ، ص (6/ 314) .

ب / مناسبة مطلع السورة مع خاتمة ما قبلها .

يقول الإمام الزركشي :

(وإذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ... وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾ أيضا فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ ﴾ سبأ: ٥٤، وكما قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ٤٥ وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به وكافتتاح البقرة بقوله ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ البقرة: ١ – 2 إشارة إلى ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ...وتأمل ارتباط سورة ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ ﴾ سورة قريش، بسورة الفيل)[1]

وكذلك ختمت سورة الطور بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ الطور: ٤٩

وافتتحت سورة النجم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ النجم: ١

[1] / البرهان في علوم القرآن (1/ 38) .

ونجد أيضاً مناسبةً بين سورتي الفرقان و النور. قال الإمام الألوسي[1]

(ولما ذكر جل وعلا في آخر السورة السابقة وجوب متابعة المؤمنين للرسول صلّى الله عليه وسلم ومدح المتابعين وحذر المخالفين افتتح سبحانه هذه السورة بما يدل على تعاليه جل شأنه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله أو على كثرة خيره تعالى ودوامه وأنه أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا اطماعا في خيره وتحذيرا من عقابه جل شأنه .

وفي هذه السورة أيضا من تأكيد ما في السابقة من مدح الرسول صلّى الله عليه وسلم ما فيها فقال تبارك وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ أي تعالى جل شأنه في ذاته وصفاته وأفعاله على أتم وجه وأبلغه)[2].

ج / المناسبة في التوازن اللفظي

و هذا كآخر المسد و أول الإخلاص ، قال تعالى : ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ المسد: ٥ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤

[1] / – الآلوسي : حمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. من كتبه (روح المعاني) في التفسير ، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام) و (غرائب الاغتراب) و (دقائق التفسير) الأعلام للزركلي (7/ 176) .

[2] / روح المعاني تفسير الألوسي = روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1415 هـ (9/ 420) (9/ 421) .

المطلب الثالث : ا لمناسبات بين الآيات و ا لفواصل

أولاً الفواصل القرءانية :

تعريف الفاصلة :

يقول الإمام الزركشي :

(هي لفظ آخرالآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر ، ولكن الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة)[1]

و يقول :

(وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعاً .

فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فصلت: ٣)[2] .

[1] /البرهان في علوم القرآن للزركشي ص (1 / 54) .

[2] / المصدر السابق ص (1 / 54) .

و الفواصل القرءانية أنواع ، منها ماكانت الفاصلة آية كما ورد في سورة الرحمن ، حيث تكررت الآية : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن: ١٣ عدة مرات . و كذلك قوله تعالى في سورة المرسلات : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات: ١٥ فقد تكررت عدة مرات .

وقد تكون الفاصلة حروف . يقول الزركشي :

(كذلك ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين . و الحاق النون و حكمته وجود التمكن من التطريب .

وقد وردت فواصله متماثلة و فواصل متقاربة أما مثال المتماثلة قوله تعالى ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ ﴾ الطور: ١ - ٥

وقوله تعالى ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه: ١ - ٥ متقاربة .

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ الفاتحة: ٣ - ٤)[1] .

[1] / البرهان في علوم القرآن للزركشي – (1/ 74)

ثانياً المناسبات بين الآيات :

يقول الإمام السيوطي مبيناً أنواع المناسبات بين الآيات :

(...فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحر ف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ ﴾ الحديد: ٤ وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٤٥ للتضاد بين القبض والبسط والولوج و الخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي ..وا ٍن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب:

أحدها: التنظير فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الأنفال: ٥ عقب قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾ الأنفال: ٤ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد أن كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين في

الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

الثاني: المضادة كقوله في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦ الآية فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول ...

الثالث: الاستطراد كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ الأعراف: ٢٦)[1] .

نلاحظ مما سبق أن التناسب بين الآيات و السو ر و السورة الواحدة و تناسب الفواصل القرءانية ، يدل على تناسق القرءان الكريم و ترابط أجزاءه مما يؤكد على أنه لم يكن لبشر أن يأتي به أو مثله ، بل تنزيل من حكيم مجيد .قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٢٣ .

[1] / أُنظر ، الإتقان في علوم القرآن (3/ 371- 372-273) .

المبحث الثالث

فوائد المناسباتو أقوال العلماء فيها

المطلب الأول : فوائد المناسبات

اهتم العلماء و المفسرين بالمناسبات و تتبعوها في كتاب الله العزيز لما جنوه من ثمار تعين على استنباط المعاني و اللطائف البلاغية مما يحصل معه الخشوع و التدبر لهذا الكتاب المعجز. و من هذه الفوائد و الثمار الآتي :

1 / ترتيب السور و معرفة مقاصدها

ذكرنا في المبحث السابق أن ترتيب آيات القرءان الكريم كان توقيفياً من النبي – صلى الله عليه و سلم – [1].

(أما ترتيب السور فقد اختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من رأى أن الترتيب كان توقيفيا من الرسول صلى الله عليه و سلم ، و منهم من قال أنها من إجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم ، و فريق آخر يرى أن بعضها توقيفي من الرسول صلى الله عليه و سلم .

و كما قال الشيخ السيوطي في مناهل العرفان :

[1] / أُنظر مناهل العرفان في علوم القرءان ، المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : أحمد زمرلي ، دار النشر : الكتاب العربي – بيروت ، سنة الطبع 1415هـ – 1995م ، ص (1/ 346) .

وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا أم اجتهاديا فإنه ينبغي احترامه خصوصا في كتابة المصاحف لأنه عن إجماع الصحابة والإجماع حجة. ولأن خلافه يجر إلى الفتنة ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب)[1] .

و يقول الإمام الزركشي :

(اعلم أن الأمر في ذلك كيفما قدر فلابد من رعي التناسب، والتفات التواصل والتجاذب، فإن كان بتوقيف منه – صلى الله عليه وسلم –، فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وا ٍن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده ، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات، ومواقع الكلمات، وا ٍنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله – صلى الله عليه و سلم)[2] .

و يؤكد الشيخ البقاعي أهمية علم المناسبات في أنه علم تعرف به علل الترتيب حيث يقول:

(علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه ، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك

[1] / المصدر السابق نفسه ، ص (1/ 358) .

[2] / البرهان في تناسب سور القرءان ، المؤلف :أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر ، تحقيق : محمد شعباني ، دار الشؤون الإسلامية – المغرب ، عام النشر : 1410هـ – 1990م . (ص: 183) .

كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو" الربط بين الايات)[1] .

و يؤكد ذلك كلام القاضي أبو بكر بن العربي في الإتقان .[2]

2 / تفصيل المجمل

ترد بالقرءان الكريم آيات مجملة تفصلها آيات أخرى ؛ و بتتبع عدد من العلماء رأوا أن بعض السور هي تكملة لسابقتها أو مفصلة لبعض آياتها ، و مثال ذلك ما أورده الشيخ السيوطي في حديثه عن سورة آل عمران حيث قال :

(لما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة، وكالمكملة لها، افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك، وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم تلك. وأقول: قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات :

أحدها: مراعاة القاعدة التي قررتها، من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، وذلك هنا في عدة مواضع:

منها: ما أشار إليه الإمام، فإن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه. وقال في آل عمران: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ آل عمران: ٣ ، وذلك بسطوا ٍطناب؛ لنفي الريب عنه .

---

[1] / أسرار ترتيب القرآن (ص: 63)

[2] / أُنظر الإتقان في علوم القرءان (3/ 369) .

ومنها: أنه ذكر في البقرة إنزال الكتابمجملاً ، وقسَّمه هنا إلى آيات محكمات، ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله .

ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ البقرة: ٤ مجملاً] 4، وقال هنا: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ٣ - ٤مفصلاً . وصرح بذكر الإنجيل هنا؛ لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود)[1].

3/ تسمية سور القرءان

قال الزركشي في البرهان : (ينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات فإن كان الثاني فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد

قال وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراكالر ائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة

[1] / الإتقان في علوم القرءان (ص 84) .

البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء)[1] .

4/ تعطي صورة بلاغية للكلام

(...أن أسلوب أي كلام بليغ معناه صورته الفنية أو طابعه الخاص أو مزاجه الشخصي الذي تهيأ له برعاية صاحبه لجملة الأحوال ومناسباتها في هذا الكلام وأنه على حسب ما تحتوي أساليب الكلام من الأحوال والمناسبات يتفاوت هذا الكلام في درجات البلاغة علوا ونزولا وفي حظه عند السامعين ردا وقبولا وأنه لم يظفر الوجود بكلام إلهي ولا بشري بلغ الطرف الأعلى في البلاغة ووصل إلى قمة الإعجاز من هذه الناحية غير القرآن الكريم لأن منشئ هذا الكتاب هو وحده الذي تعلقت إرادته بأن تكون معجزة نبي الإسلام من هذا الطر از لحكمة شرحناها وقد تعرض لها فيما يأتي ولأنه سبحانه هو الذي انتهت إليه الإحاطة بجميع أحوال الخلق وحده

ولأنه عز سلطانه هو القادر وحده على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها تلك الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحيط بها سواه ومن الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق وفيها الخفي الذي لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفي)[2] .

[1] / الإتقان في علوم القرآن ، ص (1/ 156) .

[2] / مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص (2/ 242) .

5 / تساعد على تدبر القرءان الكريم

و لعل هذه أهم فائدة للمناسبات ، لأنه بالتدبر يزيد الإيمان و يرسخ في القلب و هذا ما ذكره المولى عز و جل في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ . و قد ذُكر في مباحث في علوم القرءان :

(تحث الكثير من سور القرءان الكريم على التدبر و التفكر في آلاء الله و نعمائه و عظمة صنعه ، و بالنظر في كتابه الكريم في اسوبه و نظمه و حلاوته يزيد ايماننا بالله العظيم و نستنبط المعاني و يتضح مراده عز و جل مما أنزل و كما قيل :

معرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم ، ولذا أفرد بعض العلماء هذا المبحث بالتصنيف ... ولمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي، وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١)[1].

وقال الإمام البقاعي –رحمه الله –في كتابه (نظم الدرر في تناسب مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور) :

(وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب. وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولا، وأسهل ذوقا، فإن كل من سمع القرآن – من ذكي أو غبي – يهتز

[1] / أُنظر: مباحث في علوم القرءان ، المؤلف: مناع بن خليل القطان ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م . (ص : 96) .

لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة ، فحصل له من القبض والكرب بأضعاف ما كان حصل له من الهز والبسط ، وربما شككه ذلك، وزلزل إيمانه، وزحزح يقينه. وربما وقف كيس من أذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين – بعد ما وضحت لديه دلائله، وبرزت له من حجالها دقائقه وجلائله – لحكمة أرادها منزله، وأحكمها مجمله ومفصله، فإذا استعان بالله ، وأدام الطرق لباب الفرج، بإنعام التأمل وإظهار العجز، والوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جل عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال (...) انفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار)[1]

يتضح لنا مما سبق أن هنالك فوائدا عديدة للمناسبات ، كمعرفة ترتيب سور القرءان الكريم و التي لم تكن بمحض الصدفة بل لحكمة إلاهية. و بتتبع معاني العديد من السور و مضمونها ، يجد أنها مكملة لسابقتها مثال ما أورده الشيخ السيوطي في مقارنة سورة البقرة مع سورة آل عمران . و يلاحظ كذلك أن أسماء سور القرءان الكريم أخذت مماتحمله من معنى أو قصة او نحو ذلك كإسم سورة البقرة وأل عمران لماتضمنته من قصة بقرة بني إسرائيل و قصة أل عمران و هكذا في بقية سور القرءان الكريم .

[1] / مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ، المؤلف : عادل بن محمد أبو العلاء ، الناشر : الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة : 129 ، : العدد 37، السنة : 1425هـ ، ص : (29/28) .

و أكثر فوائد المناسبات نجدها في الربط بين الآيات و الصور البلاغية البديعة التي نتذوقها في الإنتقال بين آي الذكر الحكيم و الأساليب الفنية التي تنم عن جمال القرءان و تآلفه و أنه من لدن حكيم خبير و هذا مصداقا لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في المناسبات

إنقسم العلماء في آرائهم حول المناسبات إلى ثلاثة أقسام ، منهم من أنكر وجود مناسبات في القرءان الكريم أصلا و رأى أنها تكلف و تقول على الله عز وجل ، و منهم من قال بوجوبها و ضرورة المناسبة في كل موضع و دون قيد ، و فريق آخر أقر بإثبات المناسبات دون تكلف ولكن بشروط ،نذكر بعضاً من أقوالهم :

القول الأول : من أنكر وجود المناسبات

و من هؤلاء سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام[1] الذي قال :

(المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض)[2] .

أما الإمام محمد بن علي الشوكاني[3] يقول في مقدمة تفسيره معارضا لعلم المناسبة منكرا له ومنتقدا للمهتمين به:

---

[1] / عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز أبي القاسم بن حسين بن محمد بن مهد بن السلمي أبو محمد شيخ الإسلام ، سلطان العلماء ، ولد سنة سبع و ثمان ، و سبعين و خمسمائة ، و تفقه على الفخر بن عساكر ، و توفي عصر عاشر جمادي الأُلى سنة ستين و ستمائة ،أُنظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، ط1 ، ج1 ، ص 316 .،. و : أُنظر الأعلام للزركلي (ج4 ص 660) .

[2] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 370) .

[3] / أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، فقيه ، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء ، ولد بهجرة شوكان " من بلاد خولان باليمن " وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير. الأعلام للزركلي (1/ 247) .

(اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته)[1] .

نلاحظ أن الشيخ العز عبد السلام ، قد اشترط لوجود المناسبات أن يكون الكلام مرتبط بعضه ببعض و لكن هذا لا يمنع وجود المناسبة فقد يكون هنالك تضاد أو غير ذلك . أما الشيخ الشوكاني فيرى أنها تكلف و خوض فيما لا فائدة منه .

القول الثاني : من أوجب وجودها بتكلف

و يرى أصحاب هذا القول بضرورة وجود المناسبات في كل الآيات و السور و المقاطع و أن القرءان كله وحدة موضوعية ،و منهم الشيخ الفراهي الذي يقول بنظام القرءان الذي تُعتبر المناسبة جزءاً من أجزائه [2]

[1] / فتح القدير للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار بن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق / بيروت ، ط: 1 ، ت: 1414هـ ، ج : 1 ، (ص. : 85 / 86) .

[2] / أُنظر ، مناسبات الآيات والسور ، المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات ، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ص (10/ 45) .

يقول الفراهي :

(قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور وأما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما وربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً ، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب فأنكروه، فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً ومنها ما ترى فيه اقتضابا بيناً وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها، وبالجملة فمردانا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما)[1] .

القول الثالث : إثبات المناسبات بشروط و دون تكلف

أما هؤلاء فقد اتخذوا موقفا وسطا فلم ينكروا وجود المناسبات و لم يطلقوا العنان في ذلك بل رأيهم إثبات المناسبات الظاهرة التي تعضدها الأدلة و رد ما فيها من تكلف .

[1] / مناسبات الآيات والسور (10/ 45) .

جاء في الإتقان :

(وقال الشيخ ولي الدين الملوي[1]:

قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له انتهى)[2] .

وقال محيي الدين ابن عربي :

(لا بد من مناسبة بين آي القرآن ، وا ٍن كان بينهما بعد ظاهر ، ولكن لا بد من وجه جامع بين الآيتين مناسب ، هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات ، لأنه نظم إلهي ، وما رأينا أحدا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرماني[3] من النحويين ، فإن له تفسيرا للقرآن ، أخبرني من وقف عليه أنه نحا في القرآن هذا المنحى .. ثم يقول : إن مسمى الآية إذا لزمتها أمور من قبل أو بعد ، يظهر من قوة الكلام أن الآية تطلب تلك اللوازم ، فلا تكمل الآية إلا بها ،

---

[1] / محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، أبو عبد الله ، ولي الدين، العثماني الديباجي، المعروف بابن المنفلوطي وبالملوي: فقيه شافعي، أصولي، مفسر، صوفي. نشأ بدمشق قال ابن حجر: كان فاضلا متواضعا، عارفا بالتفسير والفقه والأصلين والتصوف . أُنظر : معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، المؤلف: عادل نويهض ، قدم له :فتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد ، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ – 1988 م ، (2/ 483) .

[2] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 370) .

[3] / أبو الحسن الرماني ، (296 – 384 هـ = 908 – 994 م) ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة ، أصله من سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد ، له نحو مئة مصنف ، منها الأكوان " و " المعلوم ، والمجول " و " الأسماء والصفات " و " صنفة الاستدلال " في الاعتزال ، " و " شرح سيبويه " و " معاني الحروف ، أُنظر ، الأعلام للزركلي ، (ج 4 / 317) .

وهو نظر الكامل من الرجال ، فمن ينظر في كلام الله على هذا النمط ، فإنه يفوز بعلم كبير ، وخير كثير ، فإن الحق سبحانه ، لا يعين لفظا ، ولا يقيد أمرا ، إلا وقد أراد من عباده أن ينظروا فيه ، من حيث ما خصصه وأفرده لتلك الحالة ، أو عينه بتلك العبارة ، ومتى لم ينظر الناظر في هذه الأمور بهذه العين ، فقد غاب عن الصواب المطلوب)[1] .

و قد أورد الشيخ السيوطي العديد من أقوال العلماء القائلين بضرورة التناسب كالشيخ أبو جعفر بن الزبير[2] .

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة :

(ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار)[3] .

مما سبق يتضح لنا ضرورة وجود المناسبة دون تكلف أو نفيها ؛ بل بشرط أن تكون حسب الوقائع و الحكمة التي تقتضي تريب الآيات ، و كذلك لابد من وجود وجه جامع مناسب بين الآيتين كما ذكر الشيخ بن عربي ، و أن ما قيده الله عز و جل إنما أراد منهم أن ينظروا فيه و

---

[1] / المصدر السابق (3/ 370) .

[2] / أُنظر الإتقان في علوم القرءان (3-369) .

[3] / الإتقان في علوم القرآن (3/ 370)

هذا هو التدبر و التفكر في كتاب الله عز وجل و النظر في أسلوبه البين و نظمه الباهر . قال تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١ .

الفصل الثالث

التعريف بالسعدي ومنهجه في التفسير

و يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالإمام السعدي

المبحث الثاني : منهج الإمام السعدي في التفسير

المبحث الثالث : منهج السعدي في إبراز المناسبات

المبحث الأول

التعريف بالإمام السعدي

المطلب الأول : نشأته ، مكانته العلمية و ثناء العلماء عليه

الشيخ السعدي من أئمة التفسير في العصر الحديث ، الذين أثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات بما لديه من علم غزيرو فكر عميق ، لذا قد ترجم له عديد من العلماء و خاصة تلاميذه الذين نهله من بحر علمه .

(هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم[1] ولد في بلدة عنيز ة[2] في القصيم[3] ،و ذلك بتاريخ 12 محرم عام ألف و ثلاثمائة و سبع ، وذلك بتاريخ من الهجرة النبوية ، وتوفيت أمه وله أربع سنين ، وتوفي والده وله سبع سنين ، فتربى يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة ، وكان قد استرعى الأنظار منذ جداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب ، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة ، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء ، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتد ريس فكان يتعلم ويعلم ،

---

[1] / قبيلة اصبح أفرادها من حاضرة نجد و جبل شمر و الدساكر النجدية ، غير أنه يمكن القول إن الموجود في نجد يمكن حصره في ثلاثة بطون ، بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ثانيا : بطن سعد بن زيدمناة بن تميم ، ثالثا : بطن عمرو بن تميم. معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، 1414هـ – 1994م ، ص (5 / 125) .

[2] / عنيزة بضم أوله وفتح ثانيه وبعد الياء زاي يجوز أن يكون تصغير أشياء منها العنزة وهو رمح قصير قدر نصف الرمح أو أكثر ...فأما العنز فهو بغير هاء أو العنز من الأرض وهو ما فيه حزونة من أكمة أو تل أو حجارة والهاء فيه أيضا لتأنيث البقعة وهو موضع بين البصرة ومكة . أُنظر ، معجم البلدان (4/ 163) ، المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، الناشر دار الفكر لبنان .

[3] / القصيم بالفتح ثم الكسر وهو من الرمال ما أنبت الغضا وهي القصائم والواحدة قصيمة ، قال أبو منصور القصيم موضع معروف يشقه طريق بطن فلج ...ويوم القصيم من أيام العرب. أُنظر معجم البلدان ، ص (4 / 376) .

ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى أنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه ، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه)[1] .

عصره :

تلعب البئة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية دوا كبيراً في حياة الإنسان ، إذ يعيش و يتفاعل معها ، و قد تؤثر في تكوين شخصيته و أفكاره و قوته . فالإمام السعدي نشأ في عصر تشوبه الكثير من الإضطرابات .

(نشأ السعدي في عصر مضطرم بنيران الاضطرابات والقلاقل والفتن، وخيَّم الخوف والهلع والتمزُّق على الجزيرة العربية، وشهدت منطقته القصيم في السنوات الأولى لميلاده حروباً طاحنة، واضطرابات كبيرة، كان لها بالغ الأثر في نشأته، فإذا أضيف إلى هذا الجو الخانق الملئ بالاضطرابات والقلاقل، الحياة الاجتماعية الصعبة التي عاشها، حيث عاش يتيماً فاقداً حنان الأبوين وعطفهما، والحياة الاقتصادية العامة التي لا تشجع على طلب العلم ، بل تجبر الإنسان على البحث عن لقمة العيش، مما يبرز العبقرية الفذة، والموهبة الكبيرة التي كان يتمتع بها الشيخ، حتى برع وفاق أقرانه، فلم تثنه الأزمات السياسية والاقتصادية عن ملازمة العلماء، والاجتهاد في طلب العلم)[2] .

---

[1] / المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين ، المؤلف : أعضاء ملتقى أهل الحديث ، الجزء لأول (ص: 152) ، انظر الأعلام للزركلي (ج: 3 ص ، 152) .

[2] ./ترجيحات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في التفسير جمعا ودرار اسة ، إعداد الطالب / عبد الله بن أحمد زقيلي ، إشراف الدكتور / عبد العزيز بن ناصر السبر ، الجزء الثاني ، العام الجامعي : 1425هـ / 1426هـ ، . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، كلية أصول الدين ، قسم

عقيدته ومذهبه :

(كان علماً من أعلام أهل السنة والجماعة، مستمسكاً بمذهب السلف الصالح، مهتماً بإبراز العقيدة الصافية الخالية من شوائب البدع والشركيات، وقد كتب في قضايا الاعتقاد أكثر من ثمانية عشر مؤلَّفاً، وردَّ على المخالفين، ووقف في وجه المعاندين والملحدين، كما اعتنى عناية خاصة بكتب السلف الذين أَوا جوانب العقيدة بحثاً وتأليفاً وردّاً على المبتدعة، خاصة كتب الإمامين ابن تيمية[1]، و ابن القيم[2] وكان – رحمه الله –ذا معرفة تامة بالفقه أصولاً وفروعاً، وكان في أول أمره على مذهب الإمام أحمد بن حنبل[3]، وما أن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتَّحت أمامه آفاق العلم؛ فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد، وكتب ابن تيمية وابن القيم التي فتَّقت ذهنه، ووسَّعت مداركه؛ فخرج عن طور التقليد إلى طور الاجتهاد، فصار يرجِّح من الأقوال ما رجَّحه الدليل، وصدقه التعليل)[4]

القرءان و علومه ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرءان و علومه ، (ص : 11) . و أُنظر ، علماء نجد للبسام ، المؤلف ، الشيخ عبد الله البسام بن عبد الرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديثة ، 1398هـ ، الأعلام للزركلي ، ج2 ، (ص : 422) .

[1] / أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين بن تيمية : الإمام ، شيخ الإسلام . ولد في حران و تحول به أبوه إلى دمشق فنبغ و اشتهر ، مات معتقلا بقلعة دمشق، ج1 ، (ص :144) .

[2] /ابن القَيم الشيخ الامام العلامة شمس الدين أحد المحققين ، نادرة المفسرين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز ، الزرعي الأصل ثم الدمشقي إبن قيم الجوزية ، كان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأُصول من المنطوق والمفهوم ، ومن مصنفاته زاد المعاد في هدي خير العباد صلى الله عليه وسلم في أربعة مجلدات ، وكتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد وغيرها . أُنظر: الرد الوافر، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: 842هـ) ، المحقق: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، 1393. ص (68/1) .

[3] / أحمد محمد بن بن حنبل، (164 – 241 هـ = 780 – 855 م)أبو عبد اللهالشيباني ّ الوائلي: إمام المذهبالحنبلي ّ ، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأمنكبّ ا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف.وصنّف (المسند) ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث. وله كتب في (التاريخ) و (الناسخ والمنسوخ) و (الرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن) و (التفسير) و (فضائل الصحابة) و (المناسك) .أنظر الأعلام للزركلي (1/ 203) .

[4] / ترجيحات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في التفسير ، (ص : 12) .

حياته العلمية:

(أقبل ابن سعدي ـ على العلم إقبالاً منقطع النظير، وصرف وقته كله للعلم، فظهرت عليه أمارات النبوغ، وحصَّل في زمن قصير ما لم يحصِّله غيره في زمن طويل، ولذا ذاع صيته ، واشتهر أمره، وعظم قدره، وعلا ذكره، فاجتمع إليه الطلبة من بلده وغيرها، وأخذوا ينهلون من المعين الصافي والينبوع العذب والنهر المتدفق، وهو يعاملهم معاملة حسنة كريمة، ويتتبع أحوالهم، ويأخذ بأيديهم، ويجمع التربية والتوجيه)[1] .

نلاحظ أن الظروف التي عاشها الشيخ السعدي رحمه الله قد صقلته و أظهرت فيه معدنا أصيلا قد إرتوي من معين السلف الصالح ساعده على ذلك حبه للعلم و إجتهاده حتى برزت شخصيته المستقلة في كثير من القضايا الفقهية دون ميل أو زيغ عن منهج أهل السنة و الجماعة.

اللغة والشعر عند الإمام السعدي :

(لقد درس الشيخ ابن سعدي علوم اللغة العربية على عدد من المشايخ، وألف في النحو رسالة صغيرة علق فيها على نظم قواعد الإعراب....

[1] / أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية، المؤلف : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار،الاستاذ بجامعة القصيم ضحوة الخميس 1412/4/10هـ (ص:1).

وأما الشعر فقد كان رحمه الله منذ صغره يقول الشعر، وله أشعار كثيرةٌ يخدم فيها علوم الشريعة. فله منظومات متعددة في الفقه وفي قواعد الفقهية وفي الترغيب والترهيب وفي شرح بعض الأحاديث وفي الثناء على بعض علماء الإسلام وغير ذلك)[1] .

نلاحظ أن الإمام السعدي قد إكتسب من كافة العلوم و المعارف المختلفة ، كما أنه قد إستفاد من ملكة الشعر في شرح عدد من العلوم و تبسيطها للدارسين حتى يسهل الفهم ، مما يدل على حرصه على نشر العلم هذا بجانب ألوان الشعر الأُخرى .

أخلاقه و ثناء العلماء عليه :

(لقد أشاد كثير من العلماء بفضل الشيخ ابن سعدي، وعلمه، وحسن خلقه، وطيب معشره، وحبه للخير، بل كان محل إعجابهم وثنائهم، فوصفوه بحميد الأفعال، ونعتوه بطيب الخصال.

وفيما يلي نذكر بعضا من أقوال العلماء فيه :

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز . حفظه الله :

"كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وكان يرجح ما قام عليه الدليل، وكان قليل الكلام إلا فيما تترتب عليه فائدة، جلسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا

[1] / الشيخ عبد الرحمن بن سعدي و جهوده في توضيح العقيدة ، المؤلف عبد الرزاق عبد المحسن البدر ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض المملكة العربية السعودية ، الطبعة : 11 ، 1418هـ – 1998م ، (ص: 43) .

في مسائل العلم. وكان متواضعا حسن الخلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة)[1] .

ب . وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي:

(إن من قرأ مصنفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله وتتبع مؤلفاته وخالطه، وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً، ووقف منه على حسن السيرة وسماحة الخلق، واستقامة الحال، وا إنصاف إخوانه وطلابه من نفسه، وطلب السلامة فيما يجر إلى شر أو يفضي إلى نزاع أو شقاق فرحمه الله رحمة واسعة)[2] .

و كذلك تحدث عنه الشيخ عثمان القاضي في كتاب روضة الناظرين بأنه ؛

(كان زاهدا عفيفاعزيز النفس مع قلة ذات يده متواضعا يسلم على الصغير و الكبير و يجيب الدعوة يزور المرضى و يشيع الجنائز ... و كان رحمه –الله– ذا دعابة يتحبب الى الخلق بحسن خلقه مرحا للجليس لا يرى الغضب في وجهه ، كريم المحيا ، و كان يكثر من الحج و يصوم البيض و غيرها ، ... و كان داعية خير و رشد ، يحب أهل الخير و يتردد اليهم و يعين الضعيف ، و يحث على إصلاح ذات البين)[3] .

---

[1] / الشيخ عبد الرحمن بن سعدي و جهوده في توضيح العقيدة ، (ص:59) .

[2] / المصدر السابق ، (ص:59) .

[3] / روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد و حوادث السنين ، لمؤلفه : محمد بن عثمان القاضي بعنيزة ، الطبعة الأولى 1400هـ – 1980م ، مطبعة الحلبي ، (ص : 223) .

وذكره أحد تلاميذه فقال :

(كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير ، وكان يقضي بعض وقته في الإجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم نادياً علمياً ، حيث أنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها ، فتتقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية ، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه ، ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى ، وكثيراً ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل ، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويتسعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات ، وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله ، وكان من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً ، مرتباً لأوقات التعليم ، ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم ، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون ، وكل من خفظه أعطى الجعل ولا يحرم منه احد و يتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة و يرجح ما عليه رغبة أكثرهم ، و مع التساوي يكون هو الحكم ،و لا يمل التلاميذ من طول وقت الدراسة إذا طال ، لأنهم يتلذذون من مجالسته ، و لذا حصل له من التلاميذ المحصلين عدد كبير)[1] .

يدل هذا الثناء الكثير على الشخصية الفذة للإمام السعدي و خلقه العظيم الذي إكتسبه من دراسته العميقة في كتاب الله عز و جل و سيرة خير الخلق سيدنا محمد – صلى الله عليه و سلم – و الإقتداء به و بتطبيق سنته ، و تأثره بالسلف الصالح .

[1] / مقدمة كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج1 ، (ص : 9) .

المطلب الثاني :

شيوخه ، تلامذته ، مصنفاته ،غايته من التصنيف ، ووفاته

أولا شيوخه :

لقد أخذ الشيخ السعدي و تتلمذ على عدد من الشيوخ في كافة مجالات العلم نذكر بعضا منهم (الشيخ إبراهيم بن أحمد بن جاسر البردي [1] ، و هذا أولهم ، و الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل[2] ، و الشيخ صالح بن عبد الرحمن القاضي[3]، و الشيخ عبد الله بن عايض ، و الشيخ صعب التويجري، و الشيخ علي السناني ، و الشيخ علي بن ناصر أبو وادي ، و الشيخ محمد بن مانع)[4] .

ثانيا: تلاميذه

أخذ من السعدي عدد من طلاب العلم ، نذكر منهم :

1- الشيخ محمد بن صالح العثيمين. خلف شيخه في إمامة الجامع بعنيزة، وفي التدريس والوعظ والخطابة.

---

[1] / الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر (1329 هـ) ، ولد في بلدة بريدة ونشأ فيها وقرأ على علمائها...، له ذكر حسن وثناء طيب . موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (9/ 181) . المؤلف : أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، الناشر : المكتبة الإسلامية للنشر و التوزيع ، القاهرة – مصر ، النبلاء للكتاب ، مراكش – المغرب ، الطبعة الأولى .

[2] / والشيخ محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن صالح الشبل. ولد في عنيزة سنة: 1257هـ، وتوفي سنة 1343هـ6، وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية . الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: 26) .

[3] / عثمان بن صالح بن عثمان الوهبي التميمي، من آل القاضي: متأدب متفقه من أهل بلدة عنيزة، بنجد. له " حاشية على مغني اللبيب . انظر الأعلام للزركلي (4/ 207) .

[4] / الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء و الأعيان من أساتذة و خلان ، تأليف العلامة الفقيه : زكريا عبد الله بيلا ، دراسة و تحقيق : عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، و محمد إبراهيم أحمد علي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط : 1427هـ – 2000م ، (ص : 58) .

2. والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام. عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.

3. والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل. عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل.

4. والشيخ عبد الله بن محمد المطرودي . يقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري بأسانيده.

5. والشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان، درّس في معهد إمام الدعوة بالرياض، وسلك طريقة شيخه بالتأليف.

6. والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع تولى القضاء في المجمعة وفي عنيزة وتوفي في 1387/7/18هـ.

7والشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، كان فقيهاً ، درس في المعهد العلمي بعنيزة، وعين قاضياً فرفض وتوفي في 1377/3/14هـ.

8 . والشيخ محمد بن منصور الزامل، درس بمعهد عنيزة العلمي.

9. والشيخ عبد الله بن محمد الزامل، درس في معهد عنيزة العلمي، وهو من أبرز علماء نجد بالنحو.

10. والشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان، درس في معهد عنيزة العلمي[1] .

[1] / أُنظر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: 35) .

مصنفاته:

لقد ترك الشيخ السعدي مصنفات من مختلف العلوم الإسلامية من كتب تفسير و فقه الى جانب كتب العقيدة و بعض الرسائل و البحوث نذكر أهما :

(– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: وهو موضوع بحثنا هنا، وسنفرده بالدراسة.

2– تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: وهو خلاصة التفسير المطول السابق.

3– فوائد قرآنية: لخصها بعض الباحثين من خلاصة التفسير السابق.

4– القواعد الحسان لتفسير القرآن: ذكر فيه سبعين قاعدة تعين على فهم كلام الله والاهتداء به، وتفتح له من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة، طبع الكتاب بمطبعة أنصار السنة المحمدية، بتصحيح محمد حامد الفقي سنة 1366هـ .

5– المواهب الربانية من الآيات القرآنية: وهي فوائد فتح الله عليه بها في شهر رمضان سنة 1347هـ فقيدها، طبع طبعة جديدة سنة 1402.

6– فوائد مستنبطة من قصة يوسف: وافق الفراغ من تأليفها شهر صفر سنة 1375، وطبعت في نفس السنة.

7- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي: وهي ر سالة صغيرة في حجمها تقع في خمسين صفحة من القطع الصغير، كتبها في محرم سنة 1375 وطبعت بمطابع الرياض سنة 1376.

8- التنبيهات اللطيفة: فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تم الفراغ منها في جمادى الأولى سنة 1369، طبعت بدون تاريخ.

9- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية: طبعت سنة 1372هـ.

10- إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب: طبع الطبعة الأولى سنة 1365، والطبعة الثانية سنة 1400هـ)[1] .

غايته من التصنيف :

ذكر الإمام السعدي – رحمه الله – في مقدمة كتابه تيسير الكريم الرحمن أن غايته من التصنيف ؛

(هو نشر العلم و الدعوة إلى الحق ، و لهذا يؤلف و يكتب و يطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته ، و لا ينال منها عرضا زائلا ، أو يستفيد منها عرض الدنيا ، بل يوزعها مجانا ليعم النفع بها فجزاه الله عن الإسلام و المسلمين حيرا ، ووفقنا الله الى ما فيه رضاه)[1]

[1] / اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، المؤلف : أ ،د / فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي ، الناشر : إدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في المملكة العربية السعودية ، برقم 951 ، تاريخ : 1406/8/5هـ، الطبعة الأولى : 1407هـ – 1986م ، (1/ 149) .

وفاته :

تـوفي رحمـه الله تعـالى فـي فجـر يـوم الخمـيس 23 / 76 13 هـ عـن عمـر ينـاهز السـبعين بعدما أفناه في طلب العلم و نشره و الدعوة إلى الله سبحانه و تعالى .[2]

[1] / أُنظر،مقدمة ، ا تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (ص : 9) .

[2] / أُنظر الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء و الأعيان ، (ص : 579) ، و مقدمة تيسير الكريم الرحمن (ص : 9) .

المبحث الثاني

منهج الإمام السعدي في التفسير

المطلب الأول : االتعريف بكتابه

يعتبر تفسير الإمام السعدي ، تيسير الكريم الرحمن من التفاسير الحديثة المهمة التي خدمت كتاب الله تعالى في بيان المعنى بأسلوب سلس و عبارة سهلة كما أن له أهمية علمية و دينية واضحة في بيان النواحي العقدية و الإعجاز في كتاب الله تعالى .

و قد بين رحمه الله تعالى هدفه من تفسيره المبارك هذا فقال :

(و قد كثرت تفاسير الأئمة –رحمهم الله– لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضوع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابها . وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها وما تتضمنه وما تدل عليه منطوقا ومفهوما، فإذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه.

ولما منَّ البارئ عليَّ وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما منَّ به الله علينا ليكون تذكرة للمحصلين وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولمن يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا)[1]

(لقد كان للشيخ ابن سعدي اليد الطولى في علم التفسير، حيث ألف تفسيره العظيم "تيسير الكريم الرحمن"، وكان يمليه إملاء من غير أن يكون معه وقتئذ كتاب في التفسير ولا غيره، بل كان يقرأ مع طلابه القرآن الكريم، وفي أثناء القراءة؛ يفسره لهم، ويبين لهم معانيه، ووجوه إعجازه، ويستنبط لهم منه فرائد الفوائد، حتى إن من يستمع إليه؛ يودُّ لو أنه استمر في تفسير الآيات، وذلك بفضل ما آتاه الله؛ من فصاحة لسان، وجزالة لفظ، وقوة بيان، وتوسُّع في عرض القصص ودقَّة في استنباط الحكم التشريعية التي تخاطب العقل وتلجمه بلجام

الإقناع السريع) [2]

[1] / اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (1/ 151) .

[2] / أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي (ص: 4) .

يدل ما قاله الإمام السعدي عن كتابه ؛ أنه قد رسم لتفسيره ذلك طريقة مختلفة عن التفاسير السابقة ، من حيث إهتمامه بالمعنى عامة من خلال السياق بقية الوصول الى الفهم و التفكر في جمال أسلوب القرءان الكريم و إعجازه حتى يصل القارئ الى المعنى المقصود ، و ذلك دون التطويل الممل أو التقصير المخل .

طريقته في التفسير و مميزاته :

لكل إمام من أئمة التفسير أُسلوبه و تفكيره الخاص به ، و ما يميز تفسيره عن غيره من التفاسير و قد ذكر الإمام رحمه الله طريقته في التفسير في صدر كتابه فقال :

(اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وا إصلاح الأمور كلها [1]).

و ذُكر في أُصول و اتجاهات التفسير ما يلي : (وطريقته فيه أنه يورد الآية ثم يقطّعها إلي أجزاء يعلق عليها جزءا جزءا بأسلوب موجز وعبارة سهلة بليغة وسرعان ما تترابط هذه الأجزاء وتمزج سبيكة واحدة لتعطي معنى الآية مكتملا، وهو برغم عبارته الموجزة يذكر الأحكام

[1] / أُنظر ، مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– للسعدي – (ص: 27) .

الفقهية ويرجّح ويبرز في كثير من الأحيان أسرار وحكم التعبير القرآني في الأنواع كأن يقول عبر بكذا ولم يعبّر بكذا لحكمة ... ونحو ذلك.

كما أنه لا يدخل في إطالات الإعرابات النحوية إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعني)[1] .

(و كذلك تميز هذا التفسير بميزات كثيرة نذكر بعضا منها :

- سهولة ألفاظه وخلوه من التكلف والحشو، وذلك لأنه يقتصر فيه على توضيح الآيات وبيان معانيها.
- عنايته فيه بأمر العقيدة وشرحها وتوضيحها والرد على من خالفها من طوائف الضلال، فعند تفسيره للآيات يبين ما فيها من دلالات على مسائل العقيدة المختلفة ويبين ما فيها من ردود على شبه المخالفين، كل ذلك بأسلوب سهل واضح، وبقراءة هذا البحث يتبين مدى عناية الشيخ بذلك، من خلال النقول
- الكثيرة التي أوردها عنه من تفسيره في بيان العقيدة وتوضيحها.
- لا يتعرض للمسائل الخلافية عند تفسيره لآيات الأحكام، وا ٍنما يذكر القول الراجح بدليله.
- بعد تفسيره للآيات المشتملة على قصة نبي من الأنبياء، فإنه يذكر بعدها ما اشتملت عليه القصة من فوائد.

[1] / التيسير في أصول واتجاهات التفسير ، المؤلف: عماد علي عبد السميع ، الناشر: دار الإيمان – الإسكندرية ، تاريخ النشر: 2006عدد الأجزاء: 1 ، (ص: 117) .

- لا يلتفت في تفسيره للإسرائيليات[1] بل يعرض عنها، ويكثر من التحذير منها.
- عقد في مقدمة تفسيره فصولاً متعددة ذكر فيها جملة من الفوائد المتعلقة بتفسير القرآن اختار جملة منها من كتاب بدائع الفوائد لابن القيم.
- ذكر في آخر المجلد الخامس جملة من الأصول والكليات المتعلقة بتفسير القرآن، والتي لا يمكن أن يستغني عنها مفسر القرآن الكريم.
- وعقد أيضاً في آخر المجلد الخامس فصلاً شرح فيه أسماء الله الحسنى)[2] .

مما سبق يتضح لنا أن هذا التفسير قد تميز بسهولة العبارة و بيان المعنى و بيان العقيدة و بعده عن المسائل الخلافية و أيضا بـُعد الإمام عن ذكر الإسرائيليات ، و سنعرض لهذا كله في حديثنا عن منهجه بقليل من التفصيل ، و كذلك حديثه عن أسماء الله الحسنى .

[1] / (الإسرائيليات هي ما كان منمعارف اليهود ، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها ، والرسل وسيرهم ونحو ذلك ؛ وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل ، أو من كتبهم ومعارفهم ، أو من أساطيرهم وأباطيلهم) ، أُنظر الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ،المؤلف : الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة . رحمه الله . الناشر : مكتبة السنة ،عدد الأجزاء / 1، الطبعة الرابعة . (ص: 13) .

[2] / الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: 48 : 49) .

المطلب الثاني : منهج السعدي في تفسيره

التزم الإمام السعدي رحمه الله منهج الكثير من علماء التفسير الذين التزموا منهج السلف في تفسير القرءان الكريم ، و ذلك كالتفسير بالمأثور[1]، و علوم القرءان الكريم ، و بيان توضيح العقيدة و الدفاع عنها ، و كذلك تطرقه للأحكام الفقهية و الترجيح بين الأقوال أحيانا ، كما التزم البعد عن الإسرائيات .

منهجه في التفسير بالمأثور

أولاً : منهجه في تفسير القرءان بالقرءان

هذا النوع من التفسير بالمأثور موجود بكثره في مواضيع عدة من تفسير الإمام السعدي فإن ماأجمل في مكان فإنه فسر في موضع آخر وماعمم في مكان قد خصص في مكان آخر وماأبهم في مكان فإنه قد بين في آخر، ومثال لذلك قوله تعالي: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٤٨

و قد قال – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ لَّا تَجۡزِي ﴾ (فيه ، أي: لا تغني ﴿ نَفۡسٌ ﴾ ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين ﴿ عَن نَّفۡسٖ ﴾ ولو كانت من العشيرة

[1] / التفسير بالمأثور هو : هو ما جاء فى القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه. أُنظر ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط1 ، ج2 ، (ص : 10) .

الأقربين ﴿ شَيْـًٔا ﴾لا كبيرا ولا صغيرا وا ٍنما ينفع الإ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ نسان عمله الذي قدمه.

﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ أي: النفس، شفاعة لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ﴿ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ ﴾ أي: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ ﴾ الزمر: ٤٧ ولا يقبل منهم ذلك ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: ﴿ تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ هذا في تحصيل المنافع، ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع.

﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ ﴾ هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته)[1] .

يلاحظ أنه جاء بالآية من سورة الزمر لبيان الآية المراد شرحها و هذا أعلى أنواع التفسير و أحسنها .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج1 (ص : 49) .

ثانيا : منهجه في تفسير القرءان بالسنة

السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد القرءان الكريم من حيث أهميتها ، فقد جاءت السنة النبوية مبينة للقرءان الكريم و موضحة و شارحة له أو مفصلة ماأجمل في بعض الأحيان : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ النحل: 64

و قد أورد الشيخ السعدي الكثير من الأحاديث في تفسيره مما يوضح كذلك إلمامه و علمه الغزير بأحاديث النبي صلى الله عليه و سلم ،حيث ذكر في شرح قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ المائدة ٣٨

(السارق : هو من أخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة.

وحد اليد عند الإطلاق من الكوع، فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسمت في زيت لتنسد العروق فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:

منها: الحرز، فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه.

ومنها: أنه لا بد أن يكون المسروق نصابا، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه)[1] .

فبين الإمام السعدي ما كان مطلقا ، (وهو قطع اليد كاملة) بتحديدها بما جاء في السنة الشريفة .

ثالثا : منهجه في تفسير القرءان بأقوال الصحابة

الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا أكثر قربا من النبي صلى الله عليه و سلم ، في حله و ترحاله ، فشاهدوا نزول الوحي عليه و الأحداث التي نزل فيها ، كما قال ابن مسعود[2] غَيْرُهُ ، مَا نَحْنُ بِآيِنُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ ، أَعْلَمُ أَحَدا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لأَتَيْتُهُ »[3])[4] .. لذا يعتبر قو لهم حجة و خاصة فيما يتعلق بالتفسير .

وبالنظر إلي تفسير السعدي نجده قليل النقلعن الصحابة بشكل كبير وا ذا نقل عنهم لايذكر أسماءهم وا ذا ذكرهم فهو نادر جدا ولايزيد علي قوله – كما قال المفسرون أو كما ذكر المفسرون– ، فمثلا عند تفسير قوله تعالي : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ البقرة 219

---

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (ص: 231) .

[2] / عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي.من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. الاعلام ، مرجع سابق،ج4 ص137.

[3] / أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ، باب من فضائل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حديث رقم : 2463 ، صحيح مسلم ، ج4 ، ص 1931 .

[4] / أُنظر ، مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، مرجع سابق، ج1،ص12.

قال الإمام السعدي :

(أي: يسألك – يا أيها الرسول – المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام، فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألوا عن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه، أن يبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهما ومضارهما، وما يصدر منهما من ذهاب العقل والمال، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، والعداوة، والبغضاء – أكبر مما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر، وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيهما، وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجحما ترجحت مصلحته، ويجتنب ما ترجحت مضرته، ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحتيم بتركها أول وهلة، قدم هذه الآية، مقدمة للتحريم، الذي ذكره في ﴿ خَمْرُ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ وَآمَالأَنْصَابُ إِنَّمَا الأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ المائدة 90 إلى قوله: ﴿ تُفْلِحُونَ ﴾ وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت، قال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا)[1] .

ومثال آخر في قوله تعالى﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ٧٦ ﴾ .مريم 76

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،مرجع سابق ج 1 ، (ص : 98) .

يقول السعدي :

(لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أمورا أخر، لا تدخل تحت كسبه ، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه ، كما قاله السلف الصالح)[1]

يلاحظ أنه لم يذكر إسم الصحابي بل إكتفى بكلمة – السلف الصالح .

رابعاً : منهجه في التفسير بأقوال االتابعين

التابعين هم الذين عاصرو الصحابة رضوان الله عليهم و الذين بدورهم عاصروا النبي صلى الله عليه و سلم و اقتدوا به و أخذوا عنه شرائع الإسلام بل و أخذوا عنه كل كبيرة و صغيرة ، لذا يعتبر كلام التابعين حجة مأخوذ بها و لا سيما في تفسير القرءان الكريم .

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه 124

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (ص : 499) .

فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر. والثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ الأنعام: ٩٣. والثالثة قوله: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ السجدة: ٢١ والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ غافر: ٤٦.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك –والله أعلم– آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة وبعض المفسرين)2 .

و نلمح هنا أن الإمام السعدي لم يذكر اسم التابعي بل أشار إليه بكلمة (السلف) . و هذا أيضا يدل على قلة أخذه عن التابعين .

تدل هذه الأمثلة على أن الإمام السعدي قد فسر القرءان الكريم بكل أنواع التفسير بالمأثور و التي تعتبر من أحسن أنواع التفاسير و أعلاها ، كما تدل على علمه الغزير بالحديث النبوي ، و رغم أنه لم يذكر الكثير من أسماء الصحابة و التابعين في تفسيره ؛ إلا أنه قد أخذ الكثير منهم و من تفاسير أعلام المفسرين و أئمتهم .

منهجه في التفسير بالرأي[1]

و قد إختلف العلماء حوله فمنهم من أجازه و منهم من نكره و لكل فريق أدلته المأخوذة من الكتاب و السنة . أما الإمام السعدي ؛ فقد كان من أصحاب التفسير بالرأي و- الرأي المحمود - ، و ذلك في ذكره المناسبات التي تميز بها تفسيره . و سنذكر أمثلة ذلك في حديثنا عن منهجه في إبراز المناسبات .

منهجه في العقيدة

عرفنا فيما سبق أن الإمام السعدي من علماء السنة الذين التزموا منهج السلف الصالح تحقيقا للعبودية الخالصة لله عز و جل و بعيدا عن أهل البدع و الأهواء ، و قد ظهر ذلك جليا في تفسيره من خلال شرحه لأسماء الله الحسنى و بعض آيات الصفات و في رده عن بعض الفرق الضالة . فهذه بعض الأمثلة التي توضح ذلك[2] :

موقفه من آيات الصفات و الرؤية

يقول الإمام السعدي في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٥ تفسير قوله تعالى:﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

[1] / يعرفه الإمام شمس الدين الذهبي بقوله : (فالتفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلة ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفت بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسِّر) ، أُنظر ، التفسير و المفسرون للذهبي ، (4 / 41) .

[2] / أُنظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 39 . و : موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (9/ 330 – 331) .

(فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الو جوه، وهو – تعالى – واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم . فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر)[1] .

اما موقفه في الرؤية فيقول في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ يونس: ٢٦

يقول رحمه – الله - :

(أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم "الحسنى" وهي الجنة الكاملة في حسنها و "زيادة" وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون)[2] .

فهنا يوضح الإمام "الزيادة " كما فسرها السلف رضوان الله عليهم بالنظر إلى وجه الله الكريم في الآخرة كما فسر الوجه ؛ بالوجه اللائق به عز و جل .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 63)

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 362) .

منهجه في تفسير أسماء الله الحسنى

فسر الإمام السعدي أسماء الله الحسنى كما وردت معانيها من رسول الله صلى الله عليه و سلم و الصحابة رضوان الله عليهم دون أي زيغ أو إخلال عن ذلك الفهم فمثالا لذلك ما جاء في شرحه لأسماء الله الحسنى في خواتيم سورة الحشر؛

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر: ٢٢ – ٢٤

قال الإمام السعدي :

(﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ أي: له الأسماء الكثيرة جدا، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها.

ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما

تقتضيه رحمته وحكمته، ﴿ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الذي لا يريد شيئا إلا ويكون، ولا يكون شيئا إلا لحكمة ومصلحة)[1]

من خلال ما ذُكر يتبين لنا ؛ أن الإمام السعدي قد التزم في منهجه في التفسير على ما كان عليه السلف الصالح في فهم العقيدة السليمة كما جاء بها الحبيب صلى الله عليه و سلم دون الخوض فيما لا يجب الحديث عنه .

موقفه من الإسرائيليات

و قد حذر الإمام السعدي من الأخذ بالإسرائيليات في التفسير لأنها مجهولة و يغلبها الظن ، فلا تكون شارحة لمعاني كتاب الله فقال في نهاية تفسيره لشرح الآيات التي تتحدث عن بقرة بني إسرائيل فقال :

(واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج "[2] والذي أرى أنه وا ٍن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 854) .

[2] / أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، عن عبد الله بن عمر ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم 2374 ، صحيح البخاري ، ج3 ، ص (1275) .صحيح مسلم في كتاب الزهد و الرقائق ، باب التثبت في الحديث و حكم كتابة العلم ، حديث رقم 3004 ، ج 4 ، ص 2298.

من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق)[1] .

و إذا كان هذا رأيه في الإسرائيليات فمن الواضح أن الإمام السعدي لم يلجأ إليها في تفسيره رغم أن الشيخ ابن كثير قد ذكر أنها ثلاثة أقسام و أن ما ليس في شريعتنا منها ما لا يوافقها و لا يخالفها يمكن الأخذ به من غير أن نصدقه و لا نكذبه[2] .

يُ بين لنا هذا المطلب من البحث أن الإمام السعدي قد التزم في تفسير الكريم الرحمن بمنهج الصالحين من أئمة المفسرين في التفسير بالمأثور ، و بيان المعانى و ربطها بعبارة سهلة ، توضح العقيدة السليمة من خلال شرحه لآيات الصفات و أسماء الله الحسنى ، كما تبين لنا طريقته في تفسير آيات الأحكام و بعده عن الخوض في الإسرائيليات .

[1] / أُنظر ، مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 55) .
[2] / أُنظر . اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (1/ 93) .

المبحث الثالث

منهج السعدي في إبراز المناسبات

تميز تفسير الإمام السعدي بذكر المناسبات ، وهي الربط بين الموضوعات و بيان الأمر الجامع بين الآيات و تسلسلها بسهولة و دون تكلف ، و قد سلك المفسرون طريقان في بيان ذكر المناسبات ، و هي : التركيز على الألفاظ ، و التركيز على جانب المعنى و عدم ذكر الكلمات الغريبة ، و هذا الذي ركز عليه السعدي و هو المعنى العام ، لذا فقد تعددت أنواع المناسبات في تفسيره .

أما المناسبات التي ذكرها السعدي ، فأحيانا تكون بالربط بين الآيات ، و أحيانا تكون بين السور ، و قد يربط بين أجزاء الآية الواحدة ، أو قد يكون بين المقاطع أو يذكر مناسبة السورة لما قبلها و غير ذلك . فنذكر في هذا المبحث بعض أنواع المناسبات من خلال تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " .

المطلب الأول : المناسبات بين الآيات في تفسير السعدي

1 / التضاد :

يظهر هذا النوع ، عند تفسيره لسورة الحجر بعد شرحه للآيات 32 – 44 حيث قال :

(ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم والنعيم المقيم فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٤٥ – 50

و يذكر التضاد ثانية في الجزء الأخير في تفسيره لهذه الآيات من سورة الحجر فيقول :

(ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ ﴾ أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، ﴿ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سعوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبئهم ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه)[1].

مثال آخر : في تفسيره لسورة لقمان قال :

(ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع به رأسا، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك قال:تَعَالَى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ لقمان: ٦ – ٩ .[2].

و يقول في تفسير سورة الدخان في قوله تَعَالَى:﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الدخان: ٤٣ – ٥٠

[1]/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 432) .

[2] / المصدر السابق ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 646) .

(لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم ﴿ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ شر الأشجار وأفظعها وأن طعمها ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم ﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ ويقال للمعذب: ﴿ ذُقْ ﴾ هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم ﴿ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ العذاب العظيم ﴿ مَا كُنتُم ﴾ ﴿ بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ أي: تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين) [1]

2 / التنظير :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٢١ – ٢٤

وضح الإمام ذلك فقال :

1/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 774) .

(لما بيَّن تعالى كمال اقتداره وعظمته، وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض، في غاية العجز وعدم القدرة ﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدرون على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الفرقان: ٣ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يس: ٧٤ -٧٥

(فالمشرك يعبد المخلوق، الذي لا ينفع ولا يضر، ويدع الإخلاص لله، الذي له الكمال كله وبيده الأمر والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه، وسوء حظه، وتوفر جهله، وشدة ظلمه، فإنه لا يصلح الوجود، إلا على إله واحد، كما أنه لم يوجد، إلا برب واحد)[1].

3 / مناسبة الآية و سابقتها :

يبدو ذلك في بيانه لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٨ – ٧٠

فيقول الإمام : (لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 521) .

المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذبا فراتا تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس. لا ينتفع به ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ الله تعالى على ما أنعم به عليكم)[1] .

4 / ربطه آخر الآية بأولها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائـــدة: ٢٥ – ٢٦

فيبين الإمام بقوله : (ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال: تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائدة: ٢٦ أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا)[2].

5/ ذكره الفوائد في آخر المقطع :

مما تميزت به المناسبات عند السعدي ما يذكره من الفوائد و العبر في نهاية شرحه للآيات ، ففي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 835) .

[2] / المصدر السابق (ص: 228) .

ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ عبس: ١ – ٤يقول الإمام السعدي :

(ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ ﴾ أي: الأعمى ﴿ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى.

وهذه فائدة كبيرة ، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك ، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك ، فإنه ليس عليك أن لا يزكى ، فلو لم يتزك ، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر)[1] .

6 / ذكره للعطف على عدد من الأشياء :

يربط الشيخ أحيانا عددا من الأمور التي تضمنتها الآية و يجمعها في شيئ واحد ليصل إلى الأمر الجامع بينهم ، كما بين ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ الصافات: ٥٠ – ٥١

قال السعدي : (لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ص: 910) .

وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به)[1] .

7 / ذكره العموم بعد الخصوص :

يذكر الإمام السعدي في تفسير سورة النور من الآية 1 و الى الآية 26 عموم ما تضمنته الآيات من آلآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد المسلم ، رغم أنها قد نزلت في حادثة الإفك فيقول : (لما ذكر فيما تقدم، تعظيم الرمي بالزنا عموما، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة، التي وقعت على أشرف النساء، أم المؤمنين رضي الله عنها، وهذه الآيات، نزلت في قصة الإفك المشهورة) ... و يقول :

(لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك، وا ٍذا أراد الله أمرا جعل له سببا، ولذلك جعل الخطاب عاما مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم)[2] .

[1] / المصدر السابق (ص: 703) .

[2] / المصدر السابق (ص: 563) .

8 / ذكره أن الثاني سبب للأول :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٧

يقول – رحمه الله - : (... ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلا ولا يشركون به أحدا، قد اتخذوه حبيبا ووليا، ووالوا أولياءه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومنَّ عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله وليا ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصي أزا، ويزعجونهم إلى الشر إزعاجا، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرموا الخيرات، وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأولياءه في دار الحسرة، فلهذا قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾)[1]

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 111) .

المطلب الثاني

المناسبات بين السور في تفسير السعدي

كما كان يربط الإمام السعدي بين الآيات فله – رحمه – الله ربط بديع بين السور يتمثل في الآتي :

1 / ذكره مناسبة أول السورة مع ختامها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ ﴾ النحل: ٣ – ٦

يقول السعدي :

(هذه السورة تسمى سورة النعم ، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت الكمال ويعلموا أنه خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: ﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم فإنه الإله حقا، الذي لا تنبغي العبادة والحب والذل إلا له تعالى، ولما ذكر خلق السماوات ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ ذكر خلق

ما فيهما) [1].

ومثال آخر في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ الواقعة: ٨٨ – ٩٦ يقول السعدي :

(ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار.

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار والموت، فقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾ الميت

﴿ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات.

﴿ فـ ﴾ ﴿ رلهم ﴾ ﴿ حٌ ﴾ أي: راحة وطمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، ﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيرا بنوع الشيء عن جنسه العام .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 435) .

﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة ، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور) [1].

2 / مناسبة إسم السورة لمضمونها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾ الرحمن: ١ – 13

يشير - رحمه الله – إلى تسمية هذه السورة مع مناسبة ما جاء فيها ، فيقول :

(هذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه "الرَّحْمَنُ " الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية [والآخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، ويقول: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فذكر أنه ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 836) .

ويسرها على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل شر) [1].

3 / المناسبة بين مطلع السورة و خاتمة ما قبلها :

نجد هذا النموزج في تفسيره لسورة قريش :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ قريش: ١ – ٤

يربط الإمام هذه السورة ، بسورة الفيل حيث يقول :

(قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب.

فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى) [2].

---

[1] / المصدر السابق (ص: 828) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 935)

4 / ربطه لكل السورة :

يظهر هذا في ربطه لكل أجزاء السورة الواحدة في تناسق سلس كما يبدو ذلك في تفسيره لسورة الإنسان .

يقـــــول تعَـالَى:﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ الإنســـان: ١ – ٣

يقول السعدي :

(ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها.

فذكر أنه مر عليه دهر طويل وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكورا.

ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق [أباه] آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلا ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ ﴾ أي: ماء مهين مستقذر ﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ بذلك لنعلم هل يرى حاله الأولى ويتفطن لها أم ينساها وتغره نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.

ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه الطريق الموصلة إلى الله ، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله.

ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حمله الله من حقوقه، وا لى كفور لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الدينية والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك) .[1]

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ ﴾ الإنسان: ٤ – ٥ إلى قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ ﴾ الإنسان: ٢٧ .[2]

5/ المناسبات بين موضوعات السور :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ المائدة: ١

يقول رحمه الله : (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود أي بإكمالها، وا تمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه ، من التزام عبوديته ، والقيام بها أتم قيام ، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا ، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه ، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب ، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 900) .
[2] / المصدر السابق (ص: 900) .

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها .

ثم قال ممتنا على عباده: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم ﴾ المائدة: ١ أي: لأجلكم، رحمة بكم ﴿ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ من الإبل والبقر والغنم)[1] .

و هذا ربط لما تضمنته سورة الفاتحة و البقرة و آل عمران و النساء من موضوعات و أحكام .

6/ ختام موضوع السورة بالأسماء الحسنى :

يذكر الإمام السعدي كثيرا التناسب بين ختام السورة و ما ورد فيها من أسماء الله الحسنى .

فبعد ختامه لتفسير سورة الصافات ؛ ذكر في تفسير قوله : تَعَالَىٰ:﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠ – ١٨٢ ولما ذكر في هذه السورة، كثيرا من أقوالهم الشنيعة، التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها فقال

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 218)

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ ﴾ أي: تنزه وتعالى ﴿ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ ﴾ [أي:] الذي عز فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به . ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ لسلامتهم من الذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسماوات . ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الألف واللام، للاستغراق، فجميع أنواع الحمد، من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربى بها العالمين، وأدر عليهم فيها النعم، وصرف عنهم بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، ورسله سالمون مسلم عليهم، ومن اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة. وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة)[1] .

مما تقدم في هذا المبحث يتضح لنا ؛ أن السعدي قد تناول في تفسيره كل أنواع المناسبات ، من المناسبات بين الآيات ، و المناسبات بين الآيات و السور ، بل يربط الإمام أحيانا ختام الآية بما تضمنته من أسماء الله الحسنى بما حوته الآية من معاني .

و مما بينته الأمثلة المذكرة أن للإمام السعدي – رحمه الله – أُسلوباً خاصاً به عبار ات يذكرها في حديثه عن المناسبات ؛ كقوله ، (ولما) ، و عبارة (ثم ذكر) ، (ولهذا قال) ، (أخبر) ، و (فلما) و غير ذلك من عبارات الربط .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 709) .

الفصل الرابع

أوجه المناسبات في سورة النساء من الآية (24 إلى 87)

و يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالسورة و أوجه المناسبات من الآية (24 إلى 35)

المبحث الثاني : أوجه المناسبات من الآية (36 – 59)

المبحث الثالث : أوجه المناسبات من الآية (60 – 87)

المبحث الأول

التعريف بالسورة و أوجه المناسبات من الآية (24 إلى 35)

المطلب الأول : التعريف بالسورة

أسماء سور القرءان الكريم تدل دائماً إلى الموضوع الذي تحويه ، أوتشير إلى أمر قد ذكر فيها أو تضمنها كما هو معروف[1] ، و قد بينت سورة النساء العديد من الأحكام التي تتعلق بالنساء ، لذلك سميت بهذا الإسم . كما تحدثت السورة عن اليتامى و حقوقهم . و أهم ما ذكرته السورة و ما تميزت به ؛ أحكام المواريث ، ونصيب النساء منه إذ كانت المرأة في الجاهلية تحرم منه فأعطاها الإسلام حقها . وكذلك بينت حكم المحرمات من النسب . و مما ذكرته السورة الحديث عن القتال ، و المنافقين و التوبة و غير ذلك من أحكام .[2]

يقول إبن عاشور[3] مبيناً مدة نزولها :

---

[1] / أُنظر ، البرهان في علوم القرءان (1 / 270) .

[2] / أُنظر الموسوعة القرآنية خصائص السور .، المؤلف: جعفر شرف الدين . المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري . الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت . الطبعة: الأولى – 1420 هـ .، (ج2 ، ص : 119) و أُنظر التحرير و التنوير ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: 1984 هـ (4/ 213) .

[3] / ولد محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، بتونس في (1296هـ = 1879م) في أسرة علمية عريقة ، تخرج في جامع الزيتونة عام (1317هـ = 1896م) ، لدى استقلال تونس أسندت إليه رئاسة الجامعة الزيتونية سنة (1374 هـ = 1956م) ، كان عالما مصلحا مجددا، كما كان من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث ، ولقد احتوى تفسيره "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية ، أُنظر المعجم الجامع في تراجم المعاصرين ، (ص: 127،130) .

(فالذي يظهر أن نزول سورة النساء كان في حدود سنة سبع وطالت مدة نزولها، ويؤيد ذلك أن كثيرا من الأحكام التي جاءت فيها مفصلة تقدمت مجملة في سورة البقرة من أحكام الأيتام والنساء والمواريث، فمعظم ما في سورة النساء شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية من نظم الأموال والمعاشرة والحكم وغير ذلك)[1] .

و ذُكر في الموسوعة القرءانية :

(نزلت سورة النساء بعد سورة الممتحنة، ونزلت سورة الممتحنة عقب صلح الحديبية. وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، فيكون نزول سورة النساء في ما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك) .[2]

فضائلها

(عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –اقرأ علي القرآن ، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟. قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٤١. قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[3]) [1].

---

[1] / التحرير والتنوير ، ص (4/ 212) .

[2] / الموسوعة القرآنية خصائص السور. (ج 2 : ص 119) .

[3] / أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرءان – باب قول المقرء للقارئ حسبك ، رقم الحديث 5050 ، صحيح البخاري (6/ 196) .

مناسبة السورة لما قبلها

قال البقاعي – رحمه الله – :

(ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادةً الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت «النساء» لذلك، ولأن بالاتقاء فيهم تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ الجامع لشتات الأمور بإحسان التزاوج في لطائف المقدور ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ الذي جعل الأرحام رحمة عامة

﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الذي خص من أراد بالتواصل على ما دعا إليه دينه الذي جعله نعمة تامة.

لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق، وثبت الأساس الحامل الذي هو التوحيد احتيج إلى الاجتماع على ذلك، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحيم فابتدأت بالنداء العام لكل الناس) [2].

مقاصد السورة في الجزء الخامس

قال سيد قطب[3] – رحمه الله – (... والتعقيب على هذه الأحكام المتعلقة بالأسرة، والعدل في المعاشرة يربط هذه الأحكام والتوجيهات بالله، وملكيته للسماوات والأرض وقدرته على الذهاب

---

[1] / أُنظر ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور(2/ 88)/ 89 / 90) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ص : (5/ 170/ ، 171) . و أنظر ، أسرار ترتيب القرآن (ص: 5) .

[3] / سيد قطب بن إبراهيم : (1324 – 1387 هـ = 1906 – 1967 م) ، مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط . تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) ، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953 – 54) وسجن معهم،

بالناس واستبدال غيرهم بهم- فيدل على ضخامة الأمر، وعلاقته بحقيقة الألوهية الهائلة.. ومن ثم يستجيش تقوى الله في الضمائر ويستطرد إلى دعوة الذين آمنوا إلى العدل المطلق في معاملاتهم كلها، وفي أحكامهم جميعها.. على طريقة القرآن في الاستطراد من القطاع الضيق الخاص، إلى المحيط الشامل العام.

ثم يجيء الدرس الأخير في هذا الجزء. وهو يكاد يكون مقصورا على التنديد بالنفاق والمنافقين ودعوة المؤمنين إلى الإيمان الجاد الواضح المستقيم وتحذيرهم من الولاء لغير الجماعة المسلمة وقيادتها الخاصة، ومن التهاون والتراخي في دينهم مجاملة أو مراعاة للعلاقات الاجتماعية أو المصلحية مع المنافقين وأعداء هذا الدين...

ويختم الدرس، ويختم الجزء معه بتقرير حقيقة مؤثرة عن صفة الله سبحانه، وعلاقته بعباده، والحكمة في عقابه للمنحرفين والضالين. وهو- سبحانه- لا حاجة به إلى عقاب مخاليقه لو آمنوا وشكروا: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ النساء: ١٤٧

وهو تعبير عجيب يوحي للقلب برحمة الله، واستغنائه- سبحانه- عن تعذيب الناس، لو استقاموا على منهجه، وشكروا فضله في هذا المنهج ومنته)[1]

فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه، فأعدم . وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة ، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق) الأعلام للزركلي (3/ 148) .

[1] / في ظلال القرآن . المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي .الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة .الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ ص (2/ 617) .

المطلب الثاني : أوجه المناسبات في سورة النساء من الآية (24 إلى 35)

أوجه المناسبات في الآية { 24 }

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول الإمام السعدي :

(﴿ ﴾ من المحرمات في النكاح ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها. ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ أي: بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا ينفسخ نكاحها ...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: كامل العلم واسعه، كامل الحكمة: فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع وحد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام .)[1].

فتتح هذا الجزء ، بأداة العطف ، (الواو) ، فيبين الإمام هذا الربط ، وهو عطف هذه الآية على سابقتها في بيان المحرمات من النساء . كما يوضح أسماء الله الحسنى و مناسبتها لما جاء في

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي (ص: 174) .

هذه الآية من أحكام ،تُبين كمال علمه و حكمته ، سبحانه و تعالى ، فيما شرع و حد من الحدود الفاصلة بين الحلال و الحرام .

أوجه المناسبات في الآية { 25 }

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ طَوْلًا ﴾ : (الطول والقصر من الأسماء المتضايفة ،... ويستعمل في الأعيان والأعراض كالزمان وغيره قال تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ الحديد: ١٦ ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ ، كناية عما يصرف إلى المهر والنفقة)[1] .

﴿ ٱلْعَنَتَ ﴾ : (عنت: العنت: دخول المشقة على الإنسان، ولقاء الشدة ؛ يقال: أعنت فلان فلانا إعناتا إذا أدخل عليه عنتا أي مشقة) [1] .

[1] / أُنظر مفردات ألفاظ القرآن المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار النشر / دار القلم . دمشق ، ص (2/ 47) .

يقول السعدي :

(ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾ . أي: ومن لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات أي الحرائر المؤمنات وخاف على نفسه العَنَت أي: الزنا والمشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره، فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن ... وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين "الغفور والرحيم" لكون هذه الأحكام رحمةً بالعباد وكرمًا وإحسانًا إليهم فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة . ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما) [2].

و يقول إبن عاشور :

(عطف قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾، على قوله: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ ، [النساء: 24] تخصيصا لعمومه بغير الإماء، وتقييدا لإطلاقه باستطاعة الطول ...) [3] .

هذه الآية ، معطوفة على سابقتها ، يبينها السعدي في تفسيره لها – و هذا ترابط الآيات بعضها ببعض – ، كما بين أن من يصبر عن نكاح الإماء إذا لم يجد الحرة ،فإن ذلك خيراً

---

[1] /. لسان العرب المؤلف: ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ ، ص (2/ 61) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي (ص: 174 ، 175) .

[3] / التحرير والتنوير ، ص (5/ 12) .

له . كما أن بالآية تضاد ، وهو ، ذكر المغفرة ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ بعد ذكر العذاب ، من قوله تعالى : ﴿ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ، أشار إليها السعدي – رحمه الله – . ثم ختم تفسيره للآية ، بمناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، (الغفور ، الرحيم) ، بما يقتضيه سياقها ، مما ذكر من حدود و تكفيرها للذنوب .

أما إبن عاشور ، فيذكر عطف هذه الآية على سابقتها ، على وجه تخصيص العموم ، و هو نكاح الإماء ، بعد ذكر العموم ، و هو المحصنات .

أوجه المناسبات في الآية { 26 } :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦ ﴾

يقول السعدي – رحمه الله – :

(يخبر تعالى بمنته العظيمة ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين وسهولة دينه فقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ ﴾ أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام ، ﴿ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشمائلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراده ، ووضح لكم وبين بيانا كما بين لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة في العلم والعمل ...

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياءو الحدود . ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة.)[1] .

و يقول البقاعي :

(ولما أتم سبحانه الحلال والحرام من هذه الحدود والأحكام ، وختمها بصفة الرحمة بين ما أراد بها من موجبات الرحمةتذكيراً بالنعمة لتشكر،وتحذيراً من أن تنسى فتكفر فقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ أي الملك الأعظم إنزال هذه الأحكام على هذا النظام ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي ليوقع لكم البيان الشافي فيما لكم وعليكم من شرائع الدين ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ أي يعرفكم ﴿ سُنَنَ ﴾ أي طرق﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ولما كان المراد بعض الماضين قال: ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي من أهل الكتاب: الأنبياء وأتباعهم ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾أي يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه، لا سيما ما يجر إلى المقاطعة – مثل منع النساء والأطفال الإرث، ومثل نكاح ما يحرم نكاحه وغير ذلك ... وما أحسن ختم ذلك بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي المحيط بأوصاف الكمال﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلا يشرع لكمشيئاً إلا وهو في غاية الإحكام. فاعملوا به يوصلكم إلى دار السلام)[2] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي – (ص: 175)

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 240 / ، 241) .

نلاحظ أن المناسبة في هذه الآية ؛ هي الإستطراد في ذكر المولى عز وجل العديد من الأحكام في الآيات السابقة فيما يتعلق باليتامى و النساء و المواريث و غيرها ؛ ثم ذكر قوله : (سنن الذين من قبلكم) من النبيين و أتباعهم ، و الذين كانوا قبل المؤمنين ، فذكرها الإمام السعدي على سبيل الإستطراد ، و بينها بالتفصيل الإمام البقاعي – رحمه الله – في تفسيره .

كما بين كلاً منهما مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، لما تضمنته الآية من كمال علمه بما يشرع لعباده من أحكام ، و حكمته من ذلك .

أوجه المناسبات في الآية (27 ،28)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول الإمام السعدي في قوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ ﴾ :

(أي: بسهولة ما أمركم به و [ما] نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة إحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع

الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته)[1]

و يقول الإمام البقاعي :

(ولما قرر سبحانه وتعالى إرادته لصلاحهم ورغب في اتباع الهدى بعلمه وحكمته عطف على ذلك قوله: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ بلطف منه وعظم سلطانه ﴿ يُرِيدُ ﴾ إي بإنزاله هذا الكتاب العظيم وا إرساله هذا الرسول الكريم ﴿ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي يرجع لكم بالبيان الشافي عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من العمى بالجهل، وزادهم في ذلك رغبة بقوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴾ أي على سبيل المبالغة والاستمرار ﴿ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ أي من أهل الكتابين وغيرهم كشاش بن قيس وغيره من الأعداء ﴿ أَن تَمِيلُواْ ﴾ أي عن سبيل الرشاد

﴿ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ أي إلى أن تصيروا إلى ما كنتم فيه من الشرك والضلال، فقد أبلغ سبحانه في الحمل على الهدى بموافقة الولي المنعم الجليل الذي لا تلحقه شائبة نقص، ومخالفة العدو الحسود الجاهل النازل من أوج العقل إلى حضيض طباع البهائم) [2].

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي (ص: 175) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(5/ 256) ، (5/ 257) .

نلاحظ فيما ذكره الإمامين : أن السعدي – رحمه الله – قد ذكر التنظير ، بين هذه الايات ، و آيات المقطع السابق التي تحدثت عن ما جاء في بعض الشرائع السابقة بقوله تعالى : ﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ وخفف فيها من المباحات .

أما البقاعي – رحمه الله – : فقد كانت المناسبة عنده بذكر العطف بين الآيات حيث ذكر ، أن الله سبحانه و تعالى عندما أراد صلاحهم و هداهم عطف على قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ فكان العطف بحرف (الواو) في لفظ الجلالة .

أوجه المناسبات في الآيات { 29 –30 } :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ ﴾

يقول الإمام السعدي :

(ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة. بل لعله يدخل في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق) .

ثم بعد ماوضح ما حرم الله تعالى في أول الآية ، ربط الآية بختامها فبين ما أحله الله تعالى فقال :

(ثم إنه –لما حرم أكلها بالباطل– أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، ﴿ المشتملة على الشروط من التراضي وغيره)[1] .

و قال السعدي :

(ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الآكل، ومن أخذ ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والتجارات، وأنواع الحرف والإجارات، فقال: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡۚ ﴾ أي: فإنها مباحة لكم)[2].

و قال البقاعي :

(ولما كان الأكل أعظم المقاصد بالمال، وكان العرب يرون التهافت على الأكل أعظم العار وا ٍن كان حلالاً ؛ كنى به التناول فقال: ﴿ لَا تَأۡكُلُوٓاْ ﴾ أي تتناولو ﴿ أَمۡوَٰلَكُم ﴾ أي الأموال التي جعلها اللهقياماً للناس ﴿ بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ أي من التسبب فيها بأخذ نصيب النساء والصغار من الإرث، وبعضل بعض النساء وغير ذلك مما تقدم النهي عنه وغيره. ولما

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي (ص: 176) .
[2] / المصدر السابق (ص: 176) .

نهى عن الأكل بالباطل، استدرك ما ليس كذلك فقال: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ ﴾ أي المعاملة المدارة المتداولة بينكم ﴿تِجَٰرَةً ﴾) [1].

الملاحظة : أن المناسبة عند السعدي كانت بالربط بين أجزاء الأية ، ;كما بين ، أن من يأكل الأموال بالباطل ، و قتل النفوس ، فإن ذلك سبب في دخوله نار جهنم . و أما البقاعي : فقد ذكر التنظير بين الأكل كأحد المقاصد عند العرب ، كأكل الأموال . كذلك يذكر الإستطراد في النهي عن الأكل بالباطل إلى ذكر المال المباح .

أوجه المناسبات في الآية {31} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

يقول السعدي :

(وهذا من فضل الله إحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلا كريما كثير الخير وهو الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[2] .

[1] / لنظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 258) (5/ 259) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (ص: 176)

هذه الآية ، مقترنة بسابقتها ، حيث إحتوت الأولى على الترهيب ، و هو عدم أكل أموال الناس بالباطل ، و الترغيب ، فيمن إجتنب الكبائر و المنهيات ، و هذا ما أشار إليه السعدي ، كما بين أن من يجتنب هذه المنهيات ، فإنه سبب في مغفرة الله له على ذنوبه ، و إدخاله جنات النعيم .

أوجه المناسبات في الآية {32} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ نَصِيبٌ ﴾: النصيب الحصة والجمع أنصبة وأنصباء ونصب بضمتين أيضا[1] .

يقول السعدي رحمه الله :

(ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة. فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها. ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب‌وا ‌نما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب ن

[1] / المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 606) .

قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه) .

لما بين الإمام معنى تفضيل كلا من الرجال و النساء على بعضهما ؛ ربط بين ذلك و الجزء التالي للآية بقوله :

(ولهذا قال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ﴾أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب . ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه. ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر ... وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.) [1].

وضح السعدي – رحمه الله – التضاد في هذه الآية ، و هو ، أن الله سبحانه و تعالى عندما ذكر نصيب الرجال ، ذكر كذلك نصيب النساء . كما بين مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى (العليم) ، مع ما ذكر في الآية ،من علمه بمن يكون أهلاً لمن يعطيه ، و من يعلمه غير مستحق فيمنعه .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 176) .

أوجه المناسبات في الآية { 33 } :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقول السعدي – رحمه الله – :

(أي: ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من الناس ﴿ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ أي: يتولونه ويتولاهم بالتعزز والنصرة والمعاونة على الأمور. ﴿ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وهذا يشمل سائر الأقارب من الأصول[1] والفروع[2] والحواشي[3] ، هؤلاء الموالي من القرابة .

ثم ذكر نوعا آخر من الموالي فقال: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة والاشتراك بالأموال وغير ذلك. وكل هذا من نعم الله على عباده، حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفردا ... ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ أي: مطلعا على كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم.) [4].

---

[1] / وهم الآباء، وآباؤهم، وأمهاتهم وإن علوا، والأمهات، وأمهاتهم وإن علون، ما عدا الأب الذي يُدلي إلى الميت بأنثى .أنظر ، فقه النكاح والفرائض ، المؤلف: محمد عبد اللطيف قنديل ، (ص: 290) .

[2] / وهم الأولاد، وأولاد البنين وإن نزلوا.أُنظر المصدر السابق ، فقه النكاح والفرائض (ص: 290)

[3] / وهم الإخوة، وبنوهم، والأعمام، وبنوهم . المصدر السابق نفسه ، (ص: 290)

[4] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 177) .

بعدما فسر الإمام في مطلع الآية معنى الموالي ؛ ربط بينها وبين الجزء التالي لها مبيناً عطفها على النوع الآخر من الموالي ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ ، و قد تميز تفسيره بذكر المناسبات بين المعطوفات في القرءان الكريم ، و الذي تميز به تفسيره . كما وضح مناسبة ذكر أسماء الحسنى ، الشهيد المطلع على كل شيء بعلمه .

أوجه المناسبات في الآية {34} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾

يقول السعدي في تفسير هذه الآيات :

(يخبر تعالى أن الرجال ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ أي: بسبب فضل الرجال على النساء ، فضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من

كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء)[1] .

(ثم قال: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل ، ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته ... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذاتو علو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات) [2].

بالآية العديد من التضاد ، و هو أن الله سبحانه و تعالى ، ذكر (الرجال) ثم ذكر (النساء) و كذلك (الصالحات) ، و (الناشز) ، و ذكر سبحانه و تعالى الترهيب ، (الهجر و الضرب) ، ثم بين سبحانه و تعالى الترغيب في (الطاعة) و العفو عما سلف من المعصية يلاحظ أن السعدي قد وضح قوامة الرجال على النساء بذكر سبب هذه القوامة في ربط بديع . كما يناسب بين أسماء الله الحسنى ، – العلي و الكبير – و ما جاء في الآية من تفضيل الرجال ، وعقوبة الناشز من النساء و عدم جورها إذا أطاعت زوجها .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 177) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 177/ 178) .

أوجه المناسبات في الآية { 35 } :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾.

يقول الإمام السعدي :

﴿وا ٍن خفتم الشقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ "الحكم" لأنه لا يصلح حكما إلا من اتصف بتلك الصفات.

فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قنعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه.

فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما ٍصلاحهما إلا على وجه المعاداة والمقاطعة ومعصية الله ، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ أي: بسبب الرأي الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف

بين القرينين ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾أي: عالما بجميع الظواهر والبواطن، مطلعا على خفايا الأمور وأسرارها. فمن علمه وخبره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة والشرائع الجميلة)[1]

و يقول الإمام البقاعي :

(ولما بين حال الوفاق وما خالطه من شيء من الأخلاق التي يقوم بإصلاحها الزوج ، أتبعه حال المباينة والشقاق المحوج إلى من ينصف أحدهما من الآخر فقال :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ أي أيها المتقون القادرون على الإصلاح من الولاة وغيرهم ﴿ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي الزوجين المفهومين من السياق ، يكون كل واحد منهما في شق غير الشق الذي فيه الآخر) [2].

يبين الإمام السعدي ، أن الصلح و الكلام الميمون ؛ سبب في تأليف الفريقين . كما يوضح مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى (العليم) بجميع البواطن و الخفايا و أسرارها ، الخبير بهذه الأحكام و الشرائع .

أما الإمام البقاعي ، فيربط هذه الآية بسابقتها بذكر التضاد بينهما ، و هو (حال الوفاق بين الزوجين) ، و (الشقاق) الذي يستحق الرجوع إلى من يصلح بينهما .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 177) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – للبقاعي (2/ 205) .

المبحث الثاني

أوجه المناسبات من الآية (36 – 59)

المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية (36 إلى 48)

أوجه المناسبات في الآيات {36 إلى 38} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾

قال الإمام السعدي :

(يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلا إخلاصا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة.

وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر، لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا

يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال : ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما إكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءة وعدم الإحسان. وكلاهما منهي عنه) [1].

من ذكر المناسبات عند السعدي تناوله لعدد من الآيات في مقطع واحد ، ثم الربط بينها . و يظهر في هذه الآيات ، أنها معطوفة بحرف العطف (الواو) ، و تشترك جميعها في كونها تندرج تحت أوامر الله عز و جل و نواهيه ، فبينها السعدي – رحمه الله – .

أوجه المناسبات في الآية { 38 } :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾ .

﴿ رِئَآءَ ﴾:الرِيَاءُ) ، (وهو إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا)[2].

يربط الإمام بين الآيات السابقة التي تتحدث عن العبودية الخالصة لله تعالى و حقوق الوالدين و ذوي القربى والجيران و ابن السبيل و من يبغضهم الله عز و جل ؛ و بين هذه الآية التي تتحدثعن الذين يُراؤن بالصدقات ، فيقول :

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:179)

[2] /. أُنظر ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ص (1/ 247) .

(ثم أخبر عن النفقة الصادرة عن رياء وسمعة وعدم إيمان به فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: ليروهم ويمدحوهم ويعظموهم الر(ِ ا ء ُ) - ﴿ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ أي: ليس إنفاقهم صادرا عن إخلاصوا يمان بالله ورجاء ثوابه. أي: فهذا من خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها ليكونوا من أصحاب السعير) [1].

أوجه المناسبات في الآية {39} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾

و في ربط بين الآية السابقة و أجزاء هذه الآية يقول – رحمه الله – :

(أي: أي شيء عليهم وأي حرج ومشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم فجمعوا بين الإخلاص والإنفاق، ولما كان الإخلاصسر ًا بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴾)[2] .

فالملاحظ أن المناسبة في هذه الآية و آيات المقطع السابق ، بها إرتباط معنوي قد بينه الإمام فيما ذكر من البخل و عدم الإنفاق ، مع حصول الإيمان بالله ،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 178) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 17 9) .

فالأول (الإنفاق) ، سبب في الثاني و هو (الإيمان بالله) . كما يبين الإمام مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى (العليم) و إحاطته بجميع أحوال العباد .

أوجه المناسبات في الآيات {40 – 42} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثَۢا ﴿٤٢﴾ ﴾

يقول الإمام السعدي :

(يخبر تعالى عن كمال عدله وفضله وتنزهه عما يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨[1] .

فناسب الإمام بين هذه الآية و الآيتين الأخيرتين من سورة الزلزلة . فهذا من أجمل التفسير الذي يظهر الوحدة الموضوعية للقرءان الكريم . كما يبين التضاد في الآية (الظلم) و (مضاعفة الحسنات) . و يربط كذلك بقية أجزاء الآية بالآية التالية فيقول:

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 179) .

(ثم قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ أي كيف تكون تلك الأحوال وكيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أن من حكم بهكاملُ العلمكاملُ العدل كامل الحكمة بشهادة أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ " فهذا –والله– الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها) [1].

وهناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له لكمال الفضل والعدل والحمد والثناء وهناك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهين

ولهذا قال ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله ومعصيةِ الرسول ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾أي تبتلعهم ويكونون ترابا وعدما كما قال تَعَالَىٰ:﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ النبأ: ٤٠﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ أي بل يقرون له بما عملوا وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) [2].

و يلاحظ هنا أن السعدي – رحمه الله – قد ناسب بين هذه الآية و آخر سورة النبأ .

[1] / المصدر السابق ، (ص: 179) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 179) .

أوجه المناسبات في الآية {43} :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٤٣﴾ ﴾

يقول السعدي :

(ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالمسجد، فإنه لايمكّن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه إلى وجود العلم بما يقول السكران. وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر –في أول الأمر– كان غير محرم، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه بقوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ البقرة: ٢١٩

ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ المائدة: ٩٠ الآية.

... ثم قال: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا، إلا في هذه الحال وهو عابر السبيل أي: تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه ، ﴿ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في المسجد فقط) [1].

من الملاحظ أن الإمام قد ناسب في هذا الجزء من الآية بأجزاء من سور أخرى ، ففي التعريض لتحريم الخمر أتى بالآية من سورة البقرة ، أما التحريم فجاء بالآية من سورة المائدة ، و هذا الربط يدل على تناسق القرءان الكريم و ترابطه .

(فائدة: (من مناسباته ذكر الفوائد في نهاية المقطع) يقول :

(اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها. وقد نبه تعالى عليها في كتابه العزيز.

أما حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك،و أباح للمسافر والمريض الفطر حفظا لصحتهما، باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما يضره.) [2]

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 179) .

[2] / المصدر السابق (ص: 179) .

... ثم ختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة)[1] .

و هذه مناسبة ذكره لأسماء الله الحسنى مع ما ورد في الآية من السياق .

أوجه المناسبات في الآيات { 45 – 46} :

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

يقول الإمام :

(فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: ﴿ وَكَفَىٰ

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 179) .

بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم ، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم)...

يربط هنا الإمام الجزء الأول من الآية مع الجزء الأخير منها ، فيبين التضاد وهو (الإضلال) ، الذي يريده لهم اولئك ، (سعادتهم و فلاحهم) التي يريدها لهم الله تعاى وولايته لهم . ، ثم يربطه بمطلع الآية الثانية في ذات المقطع بقوله :

(ثم بين كيفية ضلالهم وعنادهم إيثارهم الباطل على الحق فقال: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم . ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك)[1]...

و يقول في مناسبة وسط الآية الثانية مع آخرها :

(ثم أرشدهم إلى ما هو خير لهم من ذلك فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في مخاطبة الرسول،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : 180) .

والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه)[1] .

ففي هذه الآية ذكر عدد من المناسبات ، ففيها تضاد في قوله تعالى : ﴿ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ ﴾، و كذلك عندما ذكر الكافرين في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾، ذكر المؤمنين فقال :﴿ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾. كما بين ، أن الأول ، وهو (السمع وطاعة الرسول – صلى الله عليه و سلم –) سبب لوجود الثاني و هو (الخير) لهم من لي الكلام و الطعن في الدين ، و غيره من أفعال اليهود السيئة و أقوالهم .

و يذكر : (ولكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله بكفرهم وعنادهم، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾)[2] .

فيذكر الإمام في هذه الآية التضاد بين الكفر و الإيمان ، كما يوضح أن الأول و هو (الكفر و الأفعال السيئة) ، سبب للثاني وهو (اللعن) من الله سبحانه و تعال.

في هاتين الآيتين نجد أن الإمام قد جمعهما في موضوع متسلسل ، بربط أجزاءهما مع بعضهما ليبين حال المؤمنين و عصمة الله لهم ، و في الجانب الآخر من المقطع يوضح حال اليهود و إضلالهم و عنادهم .

---

[1] / المصدر السابق (ص : 180) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : 180) .

أوجه المناسبات في الآية { 47} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ .

شَيْ ﴿ فَنَطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ (اسْتُ بالَابِ ضَرَبَ مَحْوُهُ)[1]

يقول رحمه الله : (يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر ... وأيضا فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويوافق بعضها بعضا. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض دعوى باطلة لا يمكن صدقها.

وفي قوله: ﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ حث لهم وأنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم) [2].

يذكر الإمام في هذه الآية مناسبة تصديق اليهود لما جاء في كتبهم بأنه سبب لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه و سلم و ما أنزل عليه إذا فعلوه . كما أن بها حسن

[1] / أُنظر ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ص (2/ 378) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 181) .

المطلب ، و هو أن الله سبحانه و تعالى ، بعد أن أمرهم بالإيمان ، قدم لهم الوسيلة ، و هي الكتاب .

أوجه المناسبات في الآية [48]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بين الإمام السعدي الأسباب التي تمحي الذنوب – دون الشرك بالله – فقال :

(يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة ﴿ مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٠ - ١٠١. ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ أي افترى جرما كبيرا وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق –من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير

بذاته من كل وجه الذي لا يملك لنفسه– فضلا عمن عبده نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا– بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ ...)

وقال :

(ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ﴾ المائدة 72 ، وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ الزمر:53 أي لمن تاب إليه وأناب)[1] .

يذكر– السعدي رحمه الله – التضاد في هذه الآية و هو (الشرك) ، و (المغفرة) ، كما يناسب هذه الآية بآيات من سورة المائدة و سورة الزمر ؛ الأولى تناسب قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ و الثانية تناسب قوله عز و جل : ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– للسعدي – موافق للمطبوع (ص: 181) .

ويقول إبن عاشور – رحمه الله – :

(يجوز أن تكون هذه الجملة متعلقة بما قبلها من تهديد اليهود بعقاب في الدنيا، فالكلام مسوق لترغيب اليهود في الإسلام وإعلامهم بأنهم بحيث يتجاوز الله عنهم عند حصول إيمانهم، ولو كان عذاب الطمس نازلا عليهم، فالمراد بالغفران التجاوز في الدنيا عن المؤاخذة لهم بعظم كفرهم وذنوبهم، أي يرفع العذاب عنهم. وتتضمن الآية تهديدا للمشركين بعذاب الدنيا يحل بهم فلا ينفعهم الإيمان بعد حلول العذاب، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ يونس: (٩٨) ...)[1] .

أما إبن عاشور ، فيربط هذه الآية بسابقتها ، كما أتي بآية من سورة يونس ،مناسبةً مع هذه الآية .

[1] / التحرير والتنوير (5/ 80) .

المطلب الثاني : من الآية (49 إلى 59)

أوجه المناسبات في الآيات { 49 ، 50 } :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

يقول الإمام السعدي :

(هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم من كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود والنصارى يقولون: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ المائدة: ١٨ ويقولون: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ البقرة: ١١١ وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها وإنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ١١٢ فهؤلاء هم الذين زكاهم الله ولهذا قال هنا: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ أي: بالإيمان والعمل الصالح بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة .

وأما هؤلاء فهم وإن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء، وأن الثواب لهم وحدهم- فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم لا بظلم من الله لهم،

ولهذا قال: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾وهذا لتحقيق العموم أي: لا يظلمون شيئا ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها.

قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ أي: بتزكيتهم أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراء على الله. لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقا وما عليه المؤمنون المسلمون باطلا. وهذا أعظم الكذب وقلب الحقائق بجعل الحق باطلا والباطل حقا.)[1] .

ذكر السعدي آيات من سورة المائدة والبقرة ، ليناسب بها الآية المراد شرحها من سورة النساء لبيان كذب اليهود و إعجابهم أنفسهم من غير هدى ً من الله .

و بعد أن بين السعدي إفترائهم على الله ذكر عقوبة ذلك في آخر المقطع بقوله :

(ولهذا قال: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ أي: ظاهرا بينا موجبا للعقوبة البليغة والعذاب الأليم)[2] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 182) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 182) .

أوجه المناسبات في الآيات { 52 –57 } :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾: (أطغاه) المال والسلطان جعله طاغيا ، (تطاغى) الموج هاج ، (الطاغوت) الطاغي المعتدي أو كثير الطغيان وكل رأس في الضلال يصرف عن طريق الخير ، والشيطان والكاهن والساحر وكل ما عبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام [1].

قال السعدي :

(وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله ، أو حكم بغير شرع الله)[2] .

بعد أن بين الإمام ذميم خلق اليهود و قبائحها و حسدهم لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – قال :

[1] / أُنظر ، المعجم الوسيط . . المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية . ص (2/ 558) ، (2/ 559) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 182) .

(ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾ أي: طردهم عن رحمته وأحل عليهم نقمته. ﴿ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: يتولاه ويقوم بمصالحه ويحفظه عن المكاره، وهذا غاية الخذلان.

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ أي: فيفضلون من شاءوا على من شاءوا بمجرد أهوائهم، فيكونون شركاء لله في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك لشحوا وبخلوا أشد البخل، ولهذا قال: ﴿ فَإِذًا ﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك ﴿ لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ أي: شيئا ولا قليلا. وهذا وصف لهم بشدة البخل على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا مخرج الاستفهام المتقرر إنكاره عند كل أحد) [1]...

بعد أن وضح الإمام إستنكار الله عز وجل حسد اليهود للناس ؛ بين أن عاقبتهم السعير قال :

(ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ أي: عظيمة الوقود شديدة الحرارة ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ أي: احترقت ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ ﴾ أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفا لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاء وفاقا،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 182) .

ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي: له العزة العظيمة والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه)[1] .

نلاحظ أن الإمام قد جمع سبعة آيات في هذا المقطع ، و قد ربط بينها جميعا ، فذكر سبب لعن الله عز و جل اليهود و دخولهم النار؛ و هو حسدهم للنبي – صلى الله عليه و سلم – و الناس و بخلهم . و قد ختم الآيات بمناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، (العزيز) ، ذو العظمة ، و (الحكيم) ، في خلقه و أمره و ثوابه و عقابه .

أوجه المناسبات في الآيات {58، 59} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾

بين الإمام – رحمه الله – أهمية الأمانات و حفظها و الحكم بالعدل فيما جاء في الآية ثم قال :

[1] / المصدر السابق (ص: 182) .

(ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون .

ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين ...ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه في أصول الدين وفروعه إلى الله وا إلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية ، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء ، أو تنبيه ، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان ، فلهذا قال: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم)[1] . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾

يبين الإمام هذا المقطع من الآيات و يربطه جميعا بعطف أجزاء الآيات في تناسق تام . فيبين – رحمه الله – العطف في الآية الأولى ، , ثم بين مناسبة ذكر إسماء الله

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 184) .

الحسنى (السميع ، البصير) مع سياق الآية التي تتحدث عن أوامر الله عز و جل و نواهيه بما فيها من مصالح العباد و إحاطته و علمه بها . ثم يذكر العطف كذلك في الآية الثانية .

كما يظهر ذكره (للعام وهو طاعة أُلي الأمر من الحكام ، و المفتين و غيرهو) ، بعد ذكر الخاص (و هو طاعة الله و رسوله) . و يبرز الإمام الإستطراد في الآية ، وهو في قول الله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، وهو رد التنازع إلى الله و رسوله ، على سبيل الإستطراد عقب قوله عز و جل ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾.

المبحث الثالث

أوجه المناسبات من الآية (36 – 59)

المطلب الأول : من الآية (60 إلى 74)

أوجه المناسبات في الآيات {60 – 63} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾

يقول السعدي – رحمه الله :

(يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. ﴿ ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ﴾ مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت) [1].

بعد بيان السعدي – رحمه الله – لحال المنافقون و إنقيادهم إلى الطاغوت قال :

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 184) .

(ولهذا قال: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ عن الحق...

ولهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: من النفاق والقصد السيئ)[1] .

يلاحظ أنالله عز و جل ، قد ذكر﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ عقب قوله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ على سبيل الإستطراد ؛ فهذه أول مناسبة يذكرها السعدي في هذا المقطع ، كما يبين التضاد في الآيات و هي : (الإيمان و الكفر) و (ما أُنزل إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم و الأنبياء من قبله ، و بين الطاغوت) . و يتضح بيانه للعطف في الآية الأخيرة ، و هي معطوفة (بالواو) : ﴿وَعِظۡهُمۡ ﴾ ﴿ وَقُل لَّهُمۡ ﴾ .

أوجه المناسبات في الآيات {64، 65}:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

يقول الإمام السعدي :

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 184) .

(يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع ...

ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها. .. ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة) [1].

أما البقاعي فيقول :

(ولما أمر بطاعة الرسول ﷺ بأمر الله ، وذم من حاكم إلى غيره وهدده، وختم تهديده بأمر النبي ﷺ بالإعراض عنه والوعظ له، فكان التقدير: فما أرسلناك وغيرك من الرسل إلا الرفق بالأمة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة، عطف عليه قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا ﴾أي بما لنا من العظمة، ودل على الإعراق في الاستغراق بقوله:

﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾...)[2] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 184) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 315) .

في الآيات الكريمة مناسبة ذكر الرجوع وطلب الإستغفار من الرسول ، أنها سبب في مغفرة الله لهم و التوبة عنهم . كما بها مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، (التواب ، الرحيم) مع سياق الآية ، و هذا ما تبين من تفسير السعدي لهذه الآيات .

أما البقاعي ؛ فيذكر العطف في هذه الآيات .

أوجه المناسبات في الآيات {66 إلى 68} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾

يقول السعدي :

(يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمدا وشكرا لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ...ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

(أحدها) الخيرية في قوله: ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها ...(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته...

(الثالث) قوله: ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر...

(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم)[1] .

جمع الإمام هذه الآيات في مقطع واحد ، ثم ربط بينها في تسلسل تمام ، كما بين أن الأجر و الهداية تحصل بالطاعة . أي أن ؛ الأول سبب للثاني . كما بين العطف فيها ، و ما يترتب على فعل ذلك ، و هي : (الخيرية) ، (الثبات) ، (الأجر العظيم) و(الهداية) .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 185) .

أوجه المناسبات في الآيات {69 – 70} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ .

يقول السعدي :

أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق، ودعوتهم إلى الله تعالى ﴿ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة إلى الله ،﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا،﴿ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ الذين صلح ظاهرهم وباطنهم فصلحت أعمالهم، فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ ﴾الذي نالوه ﴿ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ يعلم أحوال عباده ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب والجوارح.) [1].

الملاحظ أن بالآيات التنظير ، و هو إلحاق من يطيع الله و رسوله بالنبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، لم يذكره السعدي تفسيره لها ؛ غير أنه بين العطف أجزاءها ، و كذلك وضح مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، (العليم) بأحوال العباد ، و و من يستحق منهم الثواب الجزيل .

أوجه المناسبات في الآيات {71 – 74} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾ إلى قوله تعالى :

﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

﴿ ثُبَاتٍ ﴾ : (جماعات. واحدتها ثُبَةٌ . يريد جماعة بعد جماعة)[2].

﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾: (أبطأ وتأخر وبطؤ وبطؤ وبطؤ) [3].

بعد أن فسر الإمام الجزء الأول من الآية – وهو نداء الله عز وجل للمؤمنين بأخذ الحيطة و الحذر من أعدائهم ؛ ربطها بآخرها فقال :

---

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 185) .

[2] / أُنظر ، غريب القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المحقق: أحمد صقر ، الناشر: دار الكتب العلمية ، السنة: 1398 هـ – 1978 م ، (ص: 130) .

[3] /.أُنظر ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 331) .

(ولهذا قال: ﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾ أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم ﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال: ٦٠.

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ أي: أيها المؤمنون ﴿ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح وقيل معناه: ليبطئ غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أَولى لوجهين:

أحدهما: قوله ﴿ مِنكُمْ ﴾ والخطاب للمؤمنين.

والثاني: قوله في آخر الآية: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين:

صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد.

وضعفاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد)[1] .

و يناسب السعدي هذا المعنى بما جاء في سورة الحجرات فيقول:

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 186) .

(كما قال تعالى:: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ الحجرات 14 إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: ﴿ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم. ﴿ قَالَ ﴾ ذلك المتخلف ﴿ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ ...

ثم قال: ﴿ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: نصر وغنيمة ﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك من لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم حمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق أمره ودعاه إلى جبر نقصه وتكميل نفسه، فلهذا أمر هؤلاء بالإخلاص والخروج في سبيله فقال: ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ هذا أحد الأقوال في هذه الآية وهو أصحها.

وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم ٱللَّهِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أي: يبيعون الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها.

فإن هؤلاء الذين يوجه إليهم الخطاب لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهمووطّنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام المقتضي لذلك.

وأما أولئك المتثاقلون، فلا يعبأ بهم خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ الإسراء: ١٠٧ إلى آخر الآيات. وقوله: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ الأنعام: ٨٩ وقيل: إن معنى الآية: فليقاتل المقاتل والمجاهد للكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه "الذين" في محل نصب على المفعولية.

﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . بأن يكون جهادا قد أمر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصا لله فيه قاصدا وجه الله.﴿ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ زيادة في إيمانه ودينه، وغنيمة، وثناء حسنا، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[1] .

نلاحظ أن السعدي – رحمه الله– قد ربط جميع هذه الآيات بتناسق سلس مع بعضها البعض ، و هو العطف ، ثم ناسبها بآية من سورة الحجرات لتدعيم المعنى و تأكيده ؛ و كذلك جاء بآيات من ، سورتي الإسراء ، و الأنعام ،نظيراً للآية أربعة و سبعون من هذا المقطع . هذا كثير عنده و مما يتميز به تفسيره وأيضاً يُظهر التضاد والترغيب و الترهيب في الآيات ، و ذلك في : (النفير ، و التباطؤ) و (المصيبة ، و الإنعام و الفضل) . كما يلاحظ ذكر أن القتال و الجهاد في سبيل الله ، و شراء الدنيا بالآخرة ؛ سبب في زيادة إيمانهم ، و الفوز بالجنة .

[1] / المصدر السابق (ص: 186) .

المطلب الثاني : (من الآية 75 إلى 87)

أوجه المناسبات في الآية {75} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

يقول الإمام السعدي :

(هذا حث من الله لعباده المؤمنين وتهييج لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه، فقال: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ والحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم)[1] .

أما البقاعي فيقول :

(ولما كان التقدير: فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد، وكانوا يقولون: إنا لا نعطي الميراث إلا لمن يحمي الذمار، ويذب عن الجار، ويمنع الحوزة؛ قال عاطفاً على هذا المقدر ملهباً لهم ومهيجاً ،ومبكتاً للقاعدين وموبخاً : ﴿ وَمَا ﴾ أي وأي شيء

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 187) .

﴿ لَكُمۡ ﴾ من دنيا آو آخره حال كونكم ﴿ لَا تُقَٰتِلُونَ ﴾ أي تجددون القتال في كل وقت، لا تملونه ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص ﴿ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ ﴾ أي المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجوداً)[1] .

يُظهر السعدي التضاد في الآية ، وهو ﴿ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾ ، و ﴿ ٱلظَّالِمِ ﴾ و الولي و النصير) و يُبرز ، (الترغيب) ، وهو الحث على القتال ، و (الترهيب) ، وهو توجيه اللوم على المؤمنين بتركهم له .

بينما يبين الإمام البقاعي العطف في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ﴾

أوجه المناسبات في الآية {76} :

...ثم قال: تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾

يقول السعدي :

هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد:

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 327) .

منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته .

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴿١٠٤﴾ ﴾ النساء: ١٠٤ الآية [1].

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلهذا قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾)[2] .

يربط السعدي هذه الآية ، بسابقتها ، و يذكر التضاد فيها ، فهو ، عندما ذكر الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ذكر ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ، و كذلك ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ ﴿ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ، و يظهر (الترهيب) الذي أُشير اليه في مناسبة الآية السابقة ، كما أشار إلى عدد من الفوائد التي تضمنتها الآية .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 187) .
[2] / المصدر السابق (ص: 188) .

أوجه المناسبات في الآيات {77، 78} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

يقول السعدي – رحمه الله – :

(كان المسلمون –إذ كانوا بمكة– مأمورين بالصلاة والزكاة أي: مواساة الفقراء، لا الزكاة المعروفة ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهاد الأعداء لعدة فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال –مع قلة عددهم وعددهم وكثرة أعدائهم– لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحكم. وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك كما قال

تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾... ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال التي فيها التخلف عن القتال فقال: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها قليل... – كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت عنه–(أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)[1] ولذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك كما قال تعالى:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ السجدة: ١٧ ...

ولهذا قال: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ أي: اتقى الشرك، وسائر المحرمات. ﴿ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أي: فسعيكم للدار الآخرة ستجدونه كاملا موفرا غير منقوص منه شيئا.

ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئا، فقال: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ أي: في أي زمان وأي مكان. ﴿ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾ أي: قصور منيعة ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة

[1] / المستدرك على الصحيحين ، المؤلف:أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، حديث على شرط مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة آل عمران ، حديث رقم 3170 ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990 ، ج3 ، ص 327 .

بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك وقصرها)[1] .

ويقول إبن عاشور :

(تهيأ المقام للتذكير بحال فريق من المسلمين اختلف أول حاله وآخره، فاستطرد هنا

التعجيب من شأنهم على طريقة الاعتراض في أثناء الحث على الجهاد، وهؤلاء فريق يودون أن يؤذن لهم بالقتال فلما كتب عليهم القتال في إبانه جبنوا. وقد علم معنى حرصهم على القتال قبل أن يعرض عليهم من قوله: قيل لهم كفوا أيديكم، لأن كف اليد مراد، منه ترك القتال، كما قال:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ الفتح: ٢٤)[2] .

في بيانه لهاتين الآيتين ؛ يذكر الإمام السعدي ، بعض ما تضمنته الآية من فوائد ، كما ذكر آية من نفس السورة و من سورة أخرى يناسب بها هاتين ألآيتين ، كما استشهد بحديث للنبي – صلى الله عليه و سلم – و هذا ربط بديع منه لآيات السورة من جهة ، و ربط للسورة بعدد من آيات السور الأ'خرى من جهة أُخرى .

بينما يشير إبن عاشور ، إلى الإستطراد في الآية الأُولى ، و يأتي بآية من سورة يونس يناسب بها الآية الثانية .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 187) .
[2] / أُنظر ، التحرير والتنوير (5/ 124) .

أوجه المناسبات في الآيات {78، 79 ، 80 } :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾ -

قال السعدي :

(يخبر تعالى عن الذين لا يعلمونالمعر ضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: ﴿ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ وأنهم إن أصابتهم سيئة أي: جدب وفقر، ومرض وموت أولاد وأحباب قالوا: ﴿ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله صلى الله عليه وسلم كما تطير أمثالهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ الأعراف: ١٣١ وقال قوم صالح: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ ﴾ النمل: ٤٧

وقال قوم ياسين لرسلهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ ﴾ يس: ١٨ الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم...

ثم قال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ ﴾ أي: في الدين والدنيا ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها. ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ ﴾ في الدين والدنيا ﴿ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره.

ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾ الأنعام: ١٩ فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرا عظيما، تيقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين)[1] .

يذكر السعدي رحمه الله ، ذكر التضاد في الآيات ، أنه تعالى عنما ذكر ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ ناسب بينها وعطفها على الجزء الثاني من الآية بقوله ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾، كما أنه ذكر التنظير في قول المعرضين عما جاء به الرسل بما جاء في الأعراف من قول قوم موسى له ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 188) .

بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ كما ذكر السعدي آيات من سورة النمل ، و يس ، و الأنعام ، يناسب بها آيات هذا المقطع . كما أنه ذكر الآية 78 ثانية في هذا المقطع بعد أن تم تفسيرها في المقطع السابق ليكتمل ترابط الآية .

أوجه المناسبات في الآيات {80، 81} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٨١﴾ ﴾ .

قال السعدي :

(... ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف فإنهم لا يضرونه شيئا إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه وإقامة شرعه ولهذا قال

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾)[1] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 189) .

ويقول البقاعي :

(ولما نفى عللهم في التخلف عن طاعته إلى أن ختم بالشهادة برسالته؛ قال مرغباً مرهباً على وجه عام يسكن قلبه، ويخفف من دوام عصيانهم له،دالاً على عصمته في جميع حركاته وسكناته: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ ﴾أي كما هو مقتضى حاله ﴿ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ الملك الأعظم الذي لا كفوء له، لأنه داع إليه، وهو لا ينطق عن الهوى، إنما يخبر بما يوحيه إليه ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ أي عن طاعته)[1] .

بين الإمام السعدي أنواع طاعة الرسول – صلى الله عليه و سلم . ثم ذكر قول الله تعالى ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ الفتح: ٩ من سورة الفتح و قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ ﴾ الغاشية: ٢١ - ٢٢ من سورة الغاشية ليناسب بها ما جاء في آيات المقطع . ثم جاء بتناسب من داخل أجزاء الآية نفسها .

بينما ذكر الإمام البقاعي الترغيب و الترهيب في الآية .

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ص (5/ 337) .

أوجه المناسبات في الآية {82} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

يقول السعدي رحمه الله – :

(يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، ... وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه [هو]

المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: .

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه

من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا)[1] .

ربط السعدي هذه الآية بآيات من سورة محمد ، الآية (24) ، و سورة ص الآية

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 189) .

(29) مناسبة لها . كما ذكر عدد من الفوائد التي تتعلق بتدبر كتاب الله تعالى .

أوجه المناسبات في الآية { 83 } :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

يقول السعدي :

(هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه)[1].

بعد أن بين السعدي الآداب التي ذكرها الله تعالى في سماع الأخبار و ردها لأولي الأمر ، قال :

(ولهذا قال: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة... ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم،

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 190) .

وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم)[1] .

و يقول البقاعي :

(ولما أمر سبحانه وتعالى بالنفر إلى الجهاد على الحزم والحذر، وأولاه الإخبار بأن من الناس المغرر والمخذل تصريحاً بالثاني وتلويحاً إلى الأول، وحذر منهما ومن غيرهما إلى أن ختم بأمر الماكرين، وبأن القرآن قيم لا عوج فيه؛ ذكر أيضاً المخذلين والمغررين على وجه أصرح من الأول مبيناً ما ان عليهم فقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ ﴾ أي هؤلاء المزلزلين ﴿ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ من غير ثبت ﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ كذلك ﴿ أَذَاعُواْ ﴾ أي أوقعوا الإذاعة لما يقدرون عليه من المفاسد ﴿ بِهِۦ ﴾ أي بسببه نم غير علم منهم بصدقه من كذبه، وحقه من باطله، ومتفقه من مختلفه، فيحصل الضرر البالغ لأهل الإسلام، أقله قلب الحقائق)[2] .

بين الإمام السعدي التضاد في الآية ، و هو في قوله عز و جل ﴿ ٱلْأَمْنِ ﴾ و ﴿ ٱلْخَوْفِ ﴾ كما وضح ذكر العام ، وهو ﴿ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ ﴾ بعد الخاص و هو ﴿ ٱلرَّسُولِ ﴾ صلى الله عليه و سلم . وربط بين أجزائها بحرف العطف (ثُم) .

---

[1] / المصدر السابق (ص: 190) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 341) .

أما الإمام البقاعي ، فقد ربط هذه الآية بالآيات السابقة لها و عطفها ، كما بين أن (إذاعة الأخبار من غير تثبت) ، سبب في جلب الأضرار و المفاسد .

أوجه المناسبات في الآية {84} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ ﴾ .

﴿ وَحَرِّضِ ﴾: (نهك فلان مرضاً ، حتى أصبح حرضاً ، وهو المشفي على الهلاك. وأحرضه المرض، ولا تأكل كذا فإنه يمرضك ويحرضك. وحرضه على الأمر ، وفيه تحريض على الخير وتحضيض) [1].

قال السعدي - رحمه الله - :

(هذه الحالة أفضل أحوال العبد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد وغيره، ويحرض غيره عليه، وقد يعدم في العبد الأمران أو أحدهما فلهذا قال لرسوله : ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴾ أي: ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك ...)[2].

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ . ﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أُعد

[1] / أُنظر ، أساس البلاغة (1/ 182) ، (1/ 183) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 190) .

للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال.أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض بعضكمبعضً ا. ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا ﴾أي: قوة وعزة ﴿ وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ بالمذنب في نفسه، وتنكيلا لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم باقية.) [1].

ربط الإمام مطلع هذه الآية بآخرها . بالآية تضاد و هو أنه تعالى عندما ذكر ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، ذكر ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، لم يتضح بيان السعدي له ، ولكنه ذكر الترغيب للمؤمنين في قوله تعالى ﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ ﴾: و الترهيب للكافرين في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ .

أوجه المناسبات في الاية {85}

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥ ﴾ .

يقول السعدي :

(المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير –ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم– كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 190) .

ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومن عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ . أي: شاهدا حفيظا حسيبا على هذه الأعمال، فيجازي كلا ما يستحقه)[1] .

﴿ كِفۡلٞ ﴾ الحديد: 28] ،قِيل إِنَّه الذَّصدِيب) .[2]

﴿ مُّقِيتًا ﴾ حفيظا)[3].

يذكر السعدي التضاد في ذكر الله عز وجل (الشفاعة الحسنة ، و الشفاعة السيئة) ، ثم يبين مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى المقيت الشاهد الحفيظ على أعمالهم فيجازي كلاً منهم بما يستحقه .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 191) .

[2] / أُنظر ، مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م . (ص: 271) .

[3] / أُنظر الكليات للكفوي ، (ص: 875) .

أوجه المناسبات في الاية {87} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ (يخبر تعالى عن انفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو، لكماله في ذاته وأوصافه ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة) ...

يقول السعدي – رحمه الله – بعد أن بين أهمية عبودية الله تعالى ، و حتمية وجود اليوم الآخر فيما ذُكر في صدر الآية ،يقول :

(ولهذا قال: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ كذلك أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ التغابن7)[1] .

إفتتح السعدي – رحمه الله – هذه الآية بمناسبة ذكر أسماء الله الحسنى

﴿ ٱللَّهُ ﴾، و أهمية عبوديته ، و بعد أن ربط السعدي بين أجزاء الآية ؛ ذكر كذلك آية سورة التغابن مناسبة بينها و بين القسم في قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ . كما بين مناسبة ذكر صفة اسم الله (الصدق) مناسبة لما في الآيات السابقة ، بأن حديث الله عز و جل أعلى مما قيل في العقائد و الأعمال ما يناقض ما أخبر الله به .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 191) .

الفصل الخامس

أوجه المناسبات في سورة النساء من الآية (88 إلى 147)

و يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث :

المبحث الأول : أوجه المناسبات من الآية (88 إلى 113)

المبحث الثاني : أوجه المناسبات من الآية (114 – 130)

المبحث الثالث : أوجه المناسبات من الآية (131 – 147)

المبحث الأول

أوجه المناسبات من الآية (88 إلى 113)

المطلب الأول : من الآية (88 إلى 100)

أوجه المناسبات في الآيات {88 – 91} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨ إلى قوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١ ﴾ .

﴿ أَرۡكَسَهُم ﴾ (ر كس: رد الشئ مقلوبا. وقد ركسه وأركسه بمعنى. ﴿ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ ﴾ ، أي ردهم إلى كفرهم).[1]

﴿ حَصِرَتۡ ﴾ (حصرت : ضاقت) [2] .

بعد أن بين الإمام المنافقين المذكورين في الآيات ، قال :

---

[1] / أُنظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص (3/ 936) ، و القاموس المحيط . ص (2 / 87) ، و مفردات غريب القرءان ، ص (1 / 202) ، و الكليات ، ص (1 / 89) .

[2] / أُنظر ، كتاب الكليات - (ص: 410) .

(ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق) . – فذكرهم رحمه الله –

... و قال في الفرقة الثالثة : (وأما هذه الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتضاحا عظيما اعتزال المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: المسالمة والموادعة ﴿ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ أي: حجة بينةو اضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم)[1] .

يلاحظ ؛ أن بالآية ذكر أن من ﴿ يُضْلِلِ ٱللَّهُ ﴾ فليس سبب أن لأ يكون ﴿ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ . ولكن هذه المناسبة لم تظهر في تفسير السعدي ، غير أنه ربط كل هذا المقطع من الآيات بعطف بعضها في تسلسل بديع .

أوجه المناسبة في الآية {92} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 192) .

مُّؤۡمِنَةٖۚ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ ﴾ .

قال الإمام :

(ولما كان قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾ لفظا عاما لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: ﴿ إِلَّا خَطَئًا ﴾ فإن المخطئ الذي لا يقصد القتل غير آثم، ولا مجترئ على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلا شنيعا وصورته كافية في قبحها إن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا ﴾ سواء كان القاتل ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا، صغيرا أو كبيرا، عاقلا أو مجنونا، مسلما أو كافرا ، كما يفيده لفظ " مَنْ " الدالة على العموم وهذا من أسرار الإتيان بـ " مَنْ " في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله " مَنْ "

وسواء كان المقتول ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا، كما يفيده التنكير في سياق الشرط، فإن على القاتل ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ كفارة لذلك ، تكون في ماله ، ويشمل ذلك الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء) [1].

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 193)

هذه الآية يربط الإمام مطلعها مع آخرها ، يظهر ذلك في عطفه لعدد من الأشياء في شيء واحد . و يلاحظ أنه قد فصل في ذكر العموم (كما أنه قد بين مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى في آخر الآية (العليم ، الحكيم) ، مع ما يناسبها بما ذكر من أحكام القتل الخطأ .

أوجه المناسبات في الآية [93] :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

يقول البقاعي في هذه الآية :

(ولما ساق تعالى الخطأ مساق ما هو للفاعلمنفراً عنه هذا التنفير، ناسب كل المناسبة أن يذكر ما ليس له من ذلك، إذ كان ضبط النفس بعد إرسالها شديداً، فربما سهلت قتل من تحقق إسلامه إحنة، وجرت إليه ضغينة وقوت الشبه فيه شدة شكيمة، ولعمري إن الحمل على الكف بعد الإرسال أصعب من الحمل على الإقدام؛ إنما يعرف ذلك منجر ب النفوس حال الإشراف على الظفر واللذاذة بالانتقام مع القوى والقدرة فقال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا ﴾ ولعله أشار بصيغة المضارع إلى دوم العزم على ذلك لأجل الإيمان، وهو لا يكون إلاكفراً، وترك الكلاممحتملاً زيادة تنفير من قتل المسلم ﴿مُّتَعَمِّدًا ﴾أي وأما الخطأ فقد تقدم حكمه في المؤمن وغيره

﴿ فَجَزَآؤُهُۥ ﴾أي على ذلك ﴿ جَهَنَّمُ ﴾أي تتلقاه بحالة كريهةجداً كما تجهم المقتول)[1] .

بين الإمام السعدي ، أن ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ سبب في دخوله ﴿ جَهَنَّمُ ﴾.

و هذا أيضاً ما ذكره الإمام البقاعي .

أوجه المناسبة في الآية {94} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

يبين الإمام في مطلع الآيات تحذير المولى عز و جل للمؤمنين من عدم إتباع أهواء أنفسهم فيقول السعدي :

(يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 364) .

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية لمَّا لم يتثبتوا وقتلوا من سلم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مال غيره، ظنًّا أنه يستكفي بذلك قتلَهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، فلهذا عاتبهم بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى)[1] .

و يقول :

(وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يُذَكِّرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدَّم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله وإن شق ذلك عليها.

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فكما هداكم بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم ، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئًا فشيئًا، فكذلك غيركم. فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان – على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة – من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 194) .

فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم أمورً ا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه – فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيجازي كُلا ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم.) [1].

من خلال تفسير السعدي لهذه الآية ؛ يظهر ذكره (للترغيب) ، وهو إبتغاء الأجر و ما أعده الله لمن نهى نفسه عن الهوى ؛ بعد ذكر (الترهيب) و هو عدم التثبت ، في الأُمر المشتبهة . و يلاحظ كذلك مناسبة ذكره لأسماء الله الحسنى (العليم ، الخبير) لمقتضى سياق الآية .

أوجه المناسبات في الآيات {95، 96} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٩٦ ﴾ .

بعد أن بين الإمام كلاً من الفريقين ، و أنهم لا يستون عند الله تعالى ، قال :

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 194) .

(ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي : الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر) . . . ثم قال : (وهذا الثواب الذي رتبه الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾ الصف: ١٠ - ١٢ إلى آخر السورة.

يقول السعدي :

(وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات

وهذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح أو النزول من حالة إلى ما دونها عند القدح والذم – أحسن لفظاً وأوقع في النفس

وكذلك إذا فضل تعالى شيئا على شيء وكل منهما له فضل احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا ﴿ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾

وكما قال تعالى في الآيات المذكورة في الصف في قوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف: وكما في قوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾ الحديد: 10 أي ممن لم يكن كذلك

ثم قال ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ الحديد: ١٠ وكما قال تعالى ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ الأنبياء: ٧٩ فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة، وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل له الكمال كما إذا قيل النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك وكل منهما كافر، والقتل أشنع من الزنا وكل منهما معصية كبيرة حرمها الله ورسوله وزجر عنها، ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين {الغفور الرحيم} ختم هذا الآية بهما فقال ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾)[1] .

في ربط جميل وبديع وضح الإمام هذه الآيات ، فبين الإنتقال فيها . وفي الآيات كذلك تضاد (القاعدون ، و المجاهدين) و ترغيب وأن الجهاد بالمال و النفس في سبيل الله ، سبب في الحصول على مغفرة الله تعالى و بلوغ أعلى الدرجات في الجنة . ثم ذكر آية من سورة الصف ، و الحديد ، و آية من سورة الأنبياء ، مناسبة لبيان المقصود ، كما ختمها بذكر المناسبة في أسماء الله الحسنى .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 195) .

أوجه المناسبات في الآيات {97 – 99} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

وضح السعدي – رحمه الله – توبيخ المتقاعدين عن الهجرة من غير أصحاب الأعذار ثم قال :

(ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن لهمتسعاً وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى:﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت: ٥٦ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع...).

و قال – رحمه الله –

(وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور منو اجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ الفتح: ١٧ وقال في عموم الأوامر: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن: ١٦ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[1] ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده وانسدت عليه أبواب الحيل لقوله: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة)[2].

هذا المقطع ؛ بين فيه السعدي ألواناً من المناسبات وهي :

أولاً :بين أن ترك الهجرة و الإستضعاف في الأرض ، سبب في توبيخ الملائكة و دخول نار جهنم .

ثانياً : بين – رحمه الله – مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى (الغفور ، الرحيم) مع ما جاء في الآية من الرحمة بالمستضعفين من الرجال و النساء و الولدان .

[1] / أخرجه مسلم : صحيح مسلم : في باب فرض الحج مرة في العمر . عن أبي هريرة رضي الله عنه : ص 975 : ج 2 : رقم الحديث 1337 . أنظر : صحيح البخاري ج 6 : ص 2658 : رقم الحديث 6858 : باب الإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 195) .

ثالثاً : جاء بالآيات من سورة العنكبوت مناسبةو نظيراً لقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ومن سورة الفتح مناسبةً و نظيراً لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴾

أوجه المناسبات في الآية {100} :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠ ﴾ .

(هذا في بيان الحث على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا.

وذلك كثيراً ً ا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً ا بعد الألفة، وفقر ً ا بعد الغنى، وذلا بعد العز، وشدة بعد الرخاء)[1].

ثم بعد أن ذكر - رحمه الله - بيا ن فائدة الهجرة في سبيل الله ثم قال في الآية الثانية :

(ثم قال: ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي: قاصدا ربه ورضاه، ومحبذة لرسوله ونصرا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ﴿ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ بقتل أو غيره، ﴿ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 196) .

عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى ...

ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصا التائبين المنيبين إلى ربهم)[1] .

بين السعدي أن، الهجرة في سبيل الله سبب في سعة الرزق ، و كذلك ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، ثم ﴿ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ فإن ذلك سبب في حصوله على الأجر من الله عز و جل . ثم وضح – رحمه الله – مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى في آخر المقطع مع ما في الآيات من المغفرة للمؤمنين .

[1] / المصدر السابق (ص: 196) .

المطلب الثاني : من الآية (101 إلى 113)

أوجه المناسبات في الآية {101 }

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

يقول السعدي بعد :

(هاتان الآيتان[1] أصل في رخصة القصر، وصلاة الخوف ، يقول تعالى:﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾أي: في السفر، وظاهر الآية [أنه] يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم ، فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية،تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره لا يناسب حاله التخفيف.

وقوله: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك ، ولا ينافي ذلك كون القصر هو الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: ﴿ إِنَّ الصَّفَا

[1] / يشير – رحمه الله – إلى هذه الآية ، و الآية التالية لها .

وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ ﴾ البقرة: ١٥٨ إلى آخر الآيةوا إزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه.

ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران:

أحدهما: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم على القصر في جميع أسفاره.

والثاني: أن هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى ر خصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

وقوله:﴿ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ولم يقل أن تقصروا الصلاة فيه فائدتان:

إحداهما: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: ﴿ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط ، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

الثانية: أن﴿ مِنَ ﴾ تفيد التبعيض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصرانوا ٍنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: ﴿ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف.

ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: ﴿أَن تَقۡصُرُواْ ﴾ قصر العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول)[1].

هذه الآية معطوفة على سابقتها ، يبين فيها السعدى الرخصة في السفر ، و يذكر عدد من الفوائد ،كما أتى بآية من سورة البقرة مناسبةً لما ذُكر . و يوضح القيد في قصر الصلاة بقول الله تعالى: ﴿ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ، بعد الإطلاق في قوله جل و علا ﴿ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾: .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– السعدي – طبعة دار الرسالة (ص: 197) .

أوجه المناسبات في الآية { 102 }

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

يقول الإمام السعدي في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (أي: صليت بهم صلاة تقيمها وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله.

ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك ما يأتي: ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها... ثم إن الله عذر من له عذر من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ

بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .) .[1]

ويقول البقاعي :

(ولما أتم سبحانه وتعالى بيان القصر في الكميةمقروناً بالخوف لما ذكر، وكان حضور النبي صلى الله عليه وسلم مظنة الأمن بالتأييد بالملائكة ووعد العصمة من الناس، وما شهر به من الشجاعة ونصر به من الرعب وغير ذلك من الأمور القاضية بأن له العاقبة؛ بيَّن سبحانه وتعالى حال الصلاة في الكيفية عند الخوف، وأن صلاة الخوف تفعل عند الأنس بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش بغيبته صلى الله عليه وسلم ، فجوازها لقوم ليس هو صلى الله عليه وسلم فيهم مفهوم موافقة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ ﴾ حال الخوف الذي تقدم فرضه ﴿ فِيهِمۡ ﴾ أي في أصحابك سواء كان ذلك في السفر أو في الحضر ﴿ فَأَقَمۡتَ ﴾ أي ابتدأت وأوجدت ﴿ لَهُمُ ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي الكاملة وهي المفروضة ﴿ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ ﴾ أي في الصلاة ولتقم الطائفة الأخرى وجاه العدو ويطوفون في كل موضع يمكن أن يأتي منه العدو ﴿ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ ﴾ أي المصلون لأنهم المحتاجون إلى هذا الأمر لدخولهم في حالة هي بترك السلاح أجدر ﴿ أَسۡلِحَتَهُمۡ ﴾ كما يأخذها من هو خارج الصلاة)[2] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 198) .

[2] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 380) .

الآية فيها ربط بين أجزائها بالعطف بينها السعدي – رحمه الله – ، كما أنها معطوفة على سابقتها ، و بها حسن المطلب ، و هو أن الله عز و جل عندما طلب منهم (إقامة صلاة الخوف) ؛ قدم لهم الوسيلة ، و هي (أخذ الأسلحة). كذلك في الآية بيان أن أخذ الحيطة و الحذر سبب في الحفاظ على أرواح المجاهدين و أمتعتهم .

كذلك نجد أن البقاعي – رحمه الله – قد بين العطف و ذكر السبب . غير أن الملاحظ أن السعدي قد بين المعنى اللإجمالي للآية ، بينما اهتم البقاعي بالتفصيل لمعنى الألفاظ و المدلولات .

أوجه المناسبات في الآية {103} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

(أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائد. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإنابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من ذكره والثناء عليه.

وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه.

ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفهوا إذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب.

ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الأنفال: ٤٥ فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحكم)[1].

هذه الآية معطوفة على سابقتها و على أجزاءها بعضها ببعض . كما نلاحظ أن من المناسبات عند السعدي ما يذكره من الفوائد التي يستنبطها من الآيات . و بالآية تضاد وهو ذكر الله عز و جل ،(القيام ، و القعود) ،كما جاء بالآية من سورة الأنفال ؛ مناسبةً لها .

أوجه المناسبات في الآية {104} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٠٤ ﴾

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 198) .

يقول - رحمه الله – :

(أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.

ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم...الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه ... بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ كامل العلم كامل الحكمة)[1] .

من المناسبات بين الآيات ، الحاق النظير بالنظير و التي بينها السعدي و هي : (أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم) ، و كذلك التضاد في قوله تعالى : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ .و وضح أيضاً مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى لما ورد في السياق من الحديث عن حكمته عز وجل و علمه .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 199) .

أوجه المناسبات في الآيات {105 – 113} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾

يقول الإمام السعدي :

(يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظا في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتملا أيضا على الحق، فأخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ الأنعام: ١١٥ وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

وفي الآية الأخرى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ النحل: ٤٤ . فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبيين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام...

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه...ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهـذا مـن ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله ، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم...

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفارا تاما يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة...)[1]

ثم قال:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمن كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية على نفسه، لا تتعداها إلى غيرها، كما قال تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الأنعام: ١٦٤ لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها وشمل إثمها، فلا تخرج أيضا عن حكم هذه الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة.

وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: له العلم الكامل والحكمة التامة...

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 199) .

ثم قال: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ أي: ذنبا كبيرا ﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ ما دون ذلك. ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ ﴾ أي: يتهم بذنبه ﴿ بَرِيٓـًٔا ﴾ من ذلك الذنب وإن كان مذنبا. ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ أي: فقد حمل فوق ظهره بهتا للبريء إثما ظاهرا بينا...

ثم ما يترتب على ذلك أيضا من كلام الناس في البريء إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها ومن كل شر.

ثم ذكر منته على رسوله بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضله فقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ وذلك أن هذه الآيات الكريمات قد ذكر المفسرون أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك...)[1].

وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، كحالة كل ماكر، فقال: ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لكون ذلك المكر وذلك التحيل لم يحصل لهم فيه مقصودهم ...

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين.

والحكمة: إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن.

[1] / المصدر السابق (ص: 200) .

وا ٍما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها وترتيب كل شيء بحسبه.

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ الشورى: ٥٢: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ الضحى : ٧.

ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ففضله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من فضله على كل مخلوق)[1] .

يلاحظ أن هذا المقطع من أطول المقاطع التي قام السعدي –رحمه الله – بربطها في هذا الجزء ، بعطف أجزاء آياته بعضها ببعض ، و فيه من المناسبات ، حسن المطلب و هو أن الله سبحانه و تعالى ، عندما أمرهم أن يحكموا بالحق ؛ قدم لهم الوسيلة ، وهي (الكتاب) ، كما ذكر آيات من سور أخرى ناسب بها آيات هذا المقطع . و في الآيات تضاد في قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 200)

وكذلك بالآية بيان أن من يستغفر الله سبب في غفران الله له . و من يكسب الأثم فإن ذلك سبب في أن يكسبه لنفسه . و بالآيات يوضح الإمام مناسبة ذكر اسماء الله الحسنى لما تضمنته الآيات .

المبحث الثاني

أوجه المناسبات من الآية (114 إلى 130)

المطلب الأول : من الآية (114 إلى 122)

أوجه المناسبات في الآية {114} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

قال الإمام :

(أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون إذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ من مال أو علم أو أي نفع كان ...

﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ

جَمِيعًا ﴾ آل عمران: ١٠٣ وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ الحجرات: ٩ الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله.كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يونس: ٨١ . فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.

ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم) [1].

بين السعدي العطف في الآيات و بعد ربطه للآية ؛ جاء السعدي بآيات من سورة آل عمران ، و الحجرات ، و يونس ، ليتم البيان و الربط بين أجزاء الآية . كما وضح أن يعمل و يخلص عمله لله ؛ فإن ذلك سبب في نيل الأجر و الجزاء العظيم .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 202) .

أوجه المناسبات في الآيات {115، 116} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ :

قال السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية :

(أي: ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ الصف: ٥ وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ الأنعام: ١١٠...

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو

تحريمه أو كراهته، أو إباحته – فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ آل عمران: ١١٠ ...

وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا، ومثل ذلك قوله تعالى﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة: ١٤٣ ... ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ النساء: ٥٩ يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطع) [1].

جمع الإمام في هذا المقطع عدد من الآيات من سور أخرى لتناسب آياته مما يؤكد ترابط جميع سور القرءان و آياته كما تبين أن الإمام – رحمه الله – يفسر القرءان الكريم بالقرءان و التي هي احسن أنواع التفسير . فجاء بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ نظير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ . وبين أن معصية الرسول و البعد عن طريق المؤمنين ؛ سبب في أن يبقيه الله حائراً في ضلاله ، كذلك من من يشرك بالله .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 202) .

أوجه المناسبات في الآيات {117 – 121} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾

(يَمْرُدُ ﴿مَّرِيدًا﴾ إذا قَتَلَ فَهُوَ مَارِدٌ).[1]

قال الإمام :

(... ولهذا بين الله قبح ضلال المشركين بقوله : – ذكر الآيات – ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ البقرة: ١١١

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٠٨ ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ .

[1] / أُنظر ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير مصدر سابق ، ص (2/ 568) .

وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ الحديد 14 : ...

فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته. فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئاب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾

وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي .

كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه ، ربح كل الربح ، وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، اللهم تولنا فيمن توليت ، وعافنا فيمن عافيت.

ثم قال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى الوعيد كما قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ البقرة: ٢٦٨ فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله

افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٧٥ الآية. ويخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمنيهم الأماني الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ ﴾ أي: من انقاد للشيطان وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ﴿ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصًا ﴾ أي: مخلصا ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآباد)[1] .

بدأ الإمام هذا المقطع بربطه بالمقطع السابق و بيان العطف في أجزاء الآيات ، و أن إتباع الشيطان ، سبب في الخسران و الشقاء الأبدي . كما يلاحظ فيه العديد من الآيات من سور أُخرى جاء بها مناسبةً مع آيات هذا المقطع ، فمثال ذلك قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ و ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ من سورة آل عمران ، نظير قوله تعالى ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ .

أوجه المناسبة في الآية {122} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 204) .

قال الإمام السعدي :

(ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان ذكر مآل السعداء أوليائه فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ .

أي: ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا وإقرارا .﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الناشئة عن الإيمان ...

وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته ، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسنة رسوله.

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: ﴿ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر... وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ .

فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقا وخبره حقا، كان ما يدل عليه مطابقة وتضمنا وملازمة كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن وحيه) [1]

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 204) .

و يقول البقاعي :

(ولما ذكر ما للكافرين ترهيباً أتبعه ما لغيرهم ترغيباً فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي بوعد لا خلف فيه ﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي ﴾ وقرب وبعض بقوله: ﴿ مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أي في أرضها، فحيث ما أجرى منها نهر جرى..

ولما كان الانزعاج عن مطلق الوطن – ولو لحاجة تعرض – شديداً، فكيف بهذا! قال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ ولما كان الخلود يطلق على مجرد المكث الطويل، دل على أنه لا بإلى آخر بقوله: أَبَدًا ثم أكد ذلك بأن الواقع يطابقه، وهو يطابق الواقع فقال: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ ﴾ أي يطابقه الواقع، لأنه الملك الأعظم وقد برز وعده بذلك، ومن أحق من الله وعداً، وأخبر به خبراً صاداقً يطابق الواقع

﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي المختص بصفات الكمال ﴿ قِيلٗا ﴾ وأكثر من التأكيد هنا لأنه في مقابلة وعد الشيطان، ووعد الشيطان موافق للهوى الذي طبعت عليه النفوس فلا تنصرف عنه إلا بعسر شديد...)[1] .

ذكر السعدي – رحمه الله – التضاد في ربطه للآية بسابقتها ، فعندما ذكر سبحانه و تعالى أتباع الشياطين و عاقبتهم في الآية السابقة ، ذكر في هذه الآية المؤمنين ، و خلودهم في جنات النعيم . و كذلك بالآيات ترغيب في جزاء الذين يعملون الصالحات ، و

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 408) ، (5/ 409) .

الترهيب من إتباع الشيطان و حزبه . و كذلك أشار إلى أن عمل الصالحات سبب في دخول الجنة ، كما أن إتباع حزب الشيطان و الهوى ، سبب في دخول النار، و يبين في ختامها مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى المتصف بصفات الكمال .

كذلك يذكر البقاعي ذلك التضاد ، ويبين الربط بعطف أجزاء الآية ، كما يفصل في ذكر أسماء الله الحسنى الواردة في الآية .

المطلب الثاني : من الآية (123 إلى 130)

أوجه المناسبات في الآيات {123، 124} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾

يقول السعدي – رحمه الله – :

(أي: ﴿ لَّيْسَ الأمر والنجاة والتزكية ﴿ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ والأماني: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى مجردة لو عورضت بمثلها لكانت من جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟!

فإن أماني أهل الكتاب قد أخبر الله بها أنهم قالوا: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ البقرة: ١١١ وغيرهم ممن ليس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى.

وكذلك أدخل الله في ذلك من ينتسب إلى الإسلام لكمال العدل والإنصاف، فإن مجرد الانتساب إلى أي دين كان، لا يفيد شيئا إن لم يأت الإنسان ببرهان على صحة دعواه، فالأعمال تصدق الدعوى أو تكذبها ولهذا قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ وهذا شامل لجميع العاملين، لأن

السوء شامل لأي ذنب كان من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضا لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي...

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى. ولهذا قال: ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان)[1] .

بالآيات ألواناً من المناسبات بينها السعدي ضمن شرحه لها ؛ ففيها التضاد بين المؤمنين و أهل الكتاب ، و (الذكر و الأُنثى) . كما جاء بآية سورة البقرة : ﴿ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ ﴾ مناظرة لقوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ .و يبين أيضاً أن من يعمل السوء و يموت عليه – و هو الكافر – كان ذلك سبباً في خلوده في العذاب ، و أما من يعملون الصالحات – المؤمنين – فأُلئك يدخلون الجنة و يجدون الثواب المضاعف من الله عز وجل .

جمع الإمام بين آية سورة البقرة و مطلع الآية المراد شرحها هنا لبيان إدعاء أهل الكتاب و أمانيهم الكاذبة ، ثم ربطها بالآيات بعدها .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 205) .

أوجه المناسبات في الآية {125} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

﴿ حَنِيفًا ﴾ : (الحنف الاعوجاج في الرجل إلى داخل وهو مصدر من باب تعب فالرجل أحنف وبه سمي ويصغر على حنيف تصغير الترخيم وبه سمي أيضا وهو الذي يمشي على ظهور قدميه والحنيف المسلم لأنه مائل إلى الدين المستقيم والحنيف الناسك) . [1]

قال الإمام :

(...﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿ حَنِيفًا ﴾أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق، ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمدوا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفى بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذه خليلا ونوه بذكره في العالمين) [2].

وضح السعدي – رحمه الله – في هذه الآية العموم بعد ذكر الخصوص في المحبة ، فالعموم ، محبة الله تعالى لجميع المؤمنين ؛ و أما المحبة الخاصة ، فهي (الخُلة) التي

[1] / المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 154)

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 206) .

خص بها الله تعالى إبراهيم – عليه السلام – ، و محمد – صلى الله عليه و سلم – . و هذا النوع من أنواع المناسبات التي تميز بها تفسير السعدي .

أوجه المناسبات في الآية {126}

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ١٢٦ ﴾

يقول السعدي :

(وهذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر أنه له﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده، فهم المملوكون وهو المالك المتفرد بتدبيرهم، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات ، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات ، وقهر بعزه وقهره كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء)[1] .

ويقول البقاعي :

(ولما أخبر بمن يحبه ومن يبغضه وبما يرضيه وما يغضبه ، وكان ربما توهم عدم القدرة على أخذه لغير ما أخذ ، وجعله لغير ما جعل، أو تعنت بذلك متعنت فظن أن في الكلام دخلاً بنوع

[1] / المصدر السابق (ص: 206) .

احتياج إلى المحالة أو غيرها قال: ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ أي والحال أن للمختص بالوحدانية – فلا كفوء له ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ .

ولما كان السياق للمنافقين والمشركين أكد فقال: ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن غيره إشارة إلى أنه التالهم ُ لك العظيمالمِ لك، فلا يعطي إلا من تابع أولياءه وجانب أعداءه، ولا يختار إلا من علمهخياراً)[1] .

يبين السعدي – رحمه الله – العطف في الآية . كما ذكر مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى و فصل فيها .

أما البقاعي – رحمه الله – فيعطف الآية بسابقتها ، ثم يبين مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، و يربطها كذلك بما جاء في الآية السابقة من إحاطت ملكه لمن في

﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾من إبراهيم عليه السلام و من غيره .

أوجه المناسبات في الآية {127} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 414) .

قال السعدي : (الاستفتاء: طلب السائل من المسئول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسئول عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه فقال: ﴿ ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ ﴾ فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شئون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموما وخصوصا.

وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرا ونهيا في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار والكبار، ثم خص –بعد التعميم– الوصية بالضعاف من اليتامى والولدان اهتماما بهم وزجرا عن التفريط في حقوقهم فقال: ﴿ ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ ﴾أي: ويفتيكم أيضا بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء .﴿ ٱلَّتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾...وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص ولهذا قال:

﴿ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ أي: ترغبون عن نكاحهن أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله... ثم حث على الإحسان عموما فقال: ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ ﴾ لليتامى ولغيرهم سواء كان الخير متعديا أو لازما﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴾ أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسنا وضده، فيجازي كلا بحسب عمله)[1] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 206) .

و يقول البقاعي :

(... ولما كان سبحانه وتعالى قد رتب هذا الكتاب على أنه يذكر أحكاماً من الأصول والفروع، ثم يفصلها بوعد ووعيد وترغيب وترهيب، وينظمها بدلائل كبريائه وجلاله وعظيم بره وكماله، ثم يعود إلى بيان الأحكام على أبدع نظام لأن إلقاء المراد في ذلك القالب أقرب إلى القبول، والنظم كذلك أجدر بالتأثير في القلوب، لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس إلا إذا كان مقروناً ببشارة ونذارة، وذلك لا يؤثر إلا عند القطع بغاية الكمال لمن صدر عنه ذلك المقال، ولا ينتقل مع ذلك من أسلوب إلى آخر إلا على غاية ما يكون من المناسبة بين آخر كل نوع وأول ما بعده بكمال التعلق لفظاً ومعنى، وفعل سبحانه وتعالى في هذه السورة في أحكام العدل الذي بدأ السورة به في المواصلة التي مبناها النكاح والإرث وغير ذلك مما اتصل به – كما بين – إلى أن ختم هنا بالإسلام المثمر لقبول ذلك ...)[1] .

يبين السعدي في هذه الآية ذكر الخاص بعد العام ؛ فالعام هو ، العمل بالفتوى في جميع شؤون النساء و القيام بحقوقهن كاملة ، و عدم ظلمهن ، ثم جاء بعد ذلك التخصيص وهو، الوصية بالضعاف من اليتامى و الولدان . ثم بين رحمه الله – أن فعل الخير لليتامى و غيرهم ، سبب في نيل الجزاء من الله سبحانه و تعالى .

كذلك يبين مناسبة ذكر أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في ختام الآية (العليم) المحيط بعمل العاملين للخير فيجازيهم حسب عملهم .

[1] / أُنظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 415) .

أما البقاعي : فقد ربط الآية بما ورد في فاتحة السورة من عدم ظلم النساء و اليتامى و إعطائم حقوقهم الكاملة ، مما يؤكد ترابط السورة ووحدة موضوعيتها بأُسلوبه السلس . كما يذكر مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى الواردة في اللآية .

أوجه المناسبات في الآية {128} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾

﴿ نُشُوزًا ﴾ : (ونشز الشيء: ارتفع، ونشز عن مكانه: ارتفع ونهض ... ونشزت المرأة على زوجها، ونشز عليها نشوزاً ، وامرأة ناشز)[1] .

قال الإمام السعدي :

(... ثم قال: ﴿ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ أي: تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غير ذلك. ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات. أو تحسنوا بفعل المأمور، وتتقوا بترك المحظور ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ قد أحاط به علما وخبرا، بظاهره وباطنه، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء)[2] .

[1] / أُنظر : أساس البلاغة (2/ 271) ، و مختار الصحاح (ص: 311) ، و تاج العروس (15/ 353) .
[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 206) .

نلاحظ أن هذه الآيات معطوفة جميعها ، أما السعدي ، فقد ربط بين أجزائها و بعدد من الأشياء معطوفة بعضها ببعض ، و يشير إلى أن ، الإخلاص في العبادة ؛ سبب في نيل أتم الجزاء ، ثم بين مناسبة ذكر إسم الله الجليل الخبير مع مضمون الآيات الكريمة .

أوجه المناسبات في الآية {129} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

قال السعدي :

(يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع، ونهى عما هو ممكن بقوله: ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ أي: لا تميلوا ميلا كثيرا بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل ... ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهن)[1] .

في هذه الآية ، ربط الإمام السعدي بين أجزائها ، فبين أن الصلح بين المتخاصمين و تقوى الله سبب في الحصول على مغفرته و رحمته ، ثم وضح مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى .

أوجه المناسبات في الآية {130} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق، فقال: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أي: بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا ﴾ من الزوجين ﴿ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ أي: من فضلوا إحسانه الواسع الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضلوا إن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها زوجا خيرا منه ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وا إحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 207) .

ولكنه مع ذلك ﴿ حَكِيمًا ﴾ أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلا وحكمة)[1] .

بين السعدي – رحمه الله – في هذه الآية ، أن الفرقة بين الزوجين إذا تعذر الإتفاق ؛ سبب في أن يرزق الله كلاً منهما من سعته فهو، ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الذاريات: ٥٨ ، كما يوضح مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى مع ما ذُكر من عطائه سبحانه و تعالى و رحمته ، و حكمته في كل أحوال العباد .

[1] / المصدر السابق (ص: 207) .

المبحث الثالث

أوجه المناسبات من الآية (131 إلى 147)

المطلب الأول : من الآية (131 إلى 139)

أوجه المناسبات في الآيات {131، 132} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢ ﴾ :-

قال السعدي :

(يخبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا وشرعا، فتصرفه الشرعي أن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب، ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَكۡفُرُواْ ﴾ بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئا ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره. ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ﴾ له الجود

الكامل والإحسان الشامل الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار ... الحميد فهو من وأما أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه [هو] المستحق لكل حمد ومحبة وثناوا إكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين {الغني الحميد} !! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.

ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة والقدرة على تنفيذه وتدبيره، وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص)[1] .

ربط السعدي – رحمه الله – بين هذه الآيات و آيات المقطع السابق بحرف العطف (الواو) وبين أجزائها ، فبين الإنتقال في الآية الأُلى ، حيث إنتقل سبحانه و تعالى من الحديث عن أهل الكتب السابق ، إلى الأُمم اللاحقة . و أشار إلى أنه ؛ إن أشرك الناس بالله ،و تركو التقوى ؛ فإن ّ لك سبباً في ضرر أنفسهم ، ثم ذكر السعدي العديد من أسماء الله الحسنى و مناسبتها مع ما تضمنته الآيات ، بل فصل – رحمه الله

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 207) .

- في الحديث عن الله عز و جل بما إتصف به من صفات الجمال ، الكمال ، و الجلال .

أوجه المناسبات في الآيات {133، 134} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ :-

يقول السعدي :

(أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشيئة النافذة فيكم ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ ﴾ غيركم هم أطوع لله منكم وخير منكم، وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئا إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل.

ثم أخبر أن من كانت همتهم وإرادته دنية[1] (دنيوية) غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة ، فليطلبا منه ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به، والافتقار إليه على الدوام.

[1] / هكذ وردت في المصدر .

وله الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1] .

بين الإمام السعدي ، مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى (و الحديث في الآيات السابقة ، كان عن إسم الله تعالى العزيز) لذا جاء السعدي بهذا الربط بينها و بين هذه الآية ، و ختمها ببيان أسماء الله الحسنى كذلك . كما ذكر ، أن من كانت همته دنيوية ، فإنه ليس له إرادة في الآخرة ، و هذه مناسبة ، أن الأول سبب للثاني .

أوجه المناسبات في الآية {135} :

ثم قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ :-

﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ : ((القسط) العدل وهو من المصادر الموصوف بها يوصف به الواحد والجمع)[2] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 208) .

[2] / المعجم الوسيط . (2/ 734) .

قال الإمام :

(يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾والقوام صيغة مبالغة ، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده ، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته ، بل تصرف في طاعته .

والقسط في حقوق الآدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك. فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك.

ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين ، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما ، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى على الأحباب بل على النفس ، ولهذا قال: ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ أي: فلا تراعوا الغني لغناه، ولا الفقير بزعمكم رحمة له ، بل اشهدوا بالحق على من كان.

والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام ، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام ، وأن يجعله نصب عينيه ، ومحل إرادته ، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به .

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى ، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ ﴾ أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن

الصواب ، ولم توفقوا للعدل ، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا،وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه ، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلىالصر اط المستقيم .

ولما بين أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك، وهو لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه ، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر آخر، فإن هذا من اللي لأنه الانحراف عن الحق. ﴿ أَوۡ تُعۡرِضُواْ ﴾ أي: تتركوا القسط المنوط بكم ، كترك الشاهد لشهادته، وترك الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها ، وفي هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل)[1] .

جمع الإمام جميع أجزاء هذه الآية بعضها ببعض ، فوضح التضاد . في أن الله تعالى عندما ذكر: ﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ ذكر : ﴿ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ ، و كذلك بين – رحمه الله – بعد أن بين أن من الواجب القيام بالقسط ، نهى عن ما يضاد ذلك ، و هو لي اللسان . كما وضح أن لي اللسان و الإعراض عن العدل ؛ فإن ذلك سبب في ألا توفقوا إلى العدل

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 208) .

و أن تعمى بصيرتكم . ثم ختم هذه الآية بمناسبة ذكر أسماء الله الحسنى ، الخبير و إحاطته بأعمال العباد ، خفيها ، و جليها .

أوجه المناسبات في الآية {136} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ :- يقول السعدي :

(اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ النساء: ٤٧.

وا ٍما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات.

ويقتضي أيضا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من الإيمان المأمور به.

وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع عليه سلف الأمة.

ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢ وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجـــح .﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ وأي ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟ ")[1] .

واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض) [2].

و يقول إبن عاشور :

(تذييل عقب به أمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله، فأمرهم الله عقب ذلك بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والشهادة لله: بأن يؤمنوا بالله ورسله وكتبه، ويدوموا على إيمانهم، ويحذروا مسارب ما يخل بذلك.

ووصف المخاطبين بأنهم آمنوا ردافه بأمرهم بأن يؤمنوا بالله ورسله إلى آخره يرشد السامع إلى تأويل الكلام تأويلا يستقيم به الجمع بين كونهم آمنوا وكونهم مأمورين بإيمان ...)[1] .

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 209) .

[2] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 209) .

بالآيـة تضـاد أشـار إليـه السـعدي وهـو ، أن الله سـبحانه و تعـالى ، عنـدما تحـدث عـن المؤمنين ، ذكر الكافرين . ثم بين – رحمه الله – ؛ أن من ترك الصراط المستقيم ، فإن ذلك سبب في أن يسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب . ثم جاء السعدي ، بالآية (47) من ذات السورة ، نظيرةً للآية المراد شرحها ،ثم آيةًمن سورة آل عمران لتُبين حقيقة الإيمان و الثبت عليه ، و هذا من التناسب بين السور عنده التي يذكرها دائماً .

أما إبن عاشور ؛ فقد بين حسن المطلب في الآية ، و هو أن الله تعالى ، بعد ما ذكر الوسيلة و هو﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ﴾ : ، ذكر الغرض ، و هو الإيمان فقال : ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ .

أوجه المناسبات في الآية {137} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ ﴾

قال السعدي – رحمه الله - : و بعد أن بين حقيقة الإيمان قال :

(أي: من تكرر منه الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من المغفرة لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. فإن كفره يكون عقوبة وطبعا لا يزول كما قال تعالى:

[1] / التحرير والتنوير ، ص (5/ 229) .

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ الصف: ٥ - ١٤ ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ الأنعام: ١١٠ ودلت الآية : أنهم إن لم يزدادوا كفرا بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت منهم الردة)[1] .

جمع السعدي – رحمه الله –هذه الاية بعطفها على سابقتها ، وعطف جميع أجزائها كما ذكر آيات من سورة الصف ،نظيراً للآية المراد شرحها ، و لتأكيد المعنى .

أوجه المناسبات في الآيات { 138 139}

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ ﴾ .

يقول السعدي :

(البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى :

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم،وتر كهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة ؟

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 209) .

وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين ، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم ّ ا وراء ذلك ، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصروا.

والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده ، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين ، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين وا إدالة لعدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم)[1] .

و يقول البقاعي :

(ولما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق ، بعضها حقيقة وبعضها مجازاً ، قال جواباً لمن كأنه سأل عن جزائهم متهكماً بهم: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فأظهر موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف ﴿ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ، ثم وصفهم بما يدل على أنهم المساترون بالكفر بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي المجاهرين بالكفر ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي يتعززون بهم تنفيراً من مقاربة صفتهم ليتميز المخلص من المنافق،وبياناً لأن مرادهم بولايتهم إنما هو التعزز بهم فإن محط أمرهم على العرض الدنيوي، ونبه على دناءة أمرهم على أن الغريق في الإيمان

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 209) .

أعلى الناس بقوله: ﴿ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾أي الغريقين في الإيمان، ثم أنكر عليهم هذا المراد بقوله: ﴿ أَيَبۡتَغُونَ ﴾ أي المنافقون يتطلبون،تطلباً عظيماً ﴿ عِندَهُمُ أي الكافرين ﴾...)[1] .

بين السعدي ، ذكر التضاد في هذا المقطع ، و ذلك في ذكر الله تعالى ، للمنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء ، دون المؤمنين ، كما أن به ترهيب شديد لمن ابتغى العزة لغير الله تعالى ، و يظهر الترغيب في أن الإيمان يقتضي محبة ، و موالاة المؤمنين .

و في تفسير البقاعي ، نجده قد ربط الآية بالأيات السابقة لها ، فبين أنها تتحدث عن المنافقين ، كما أشار إلى أن عاقبة النفاق العذاب الأليم .

[1] / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(5/ 435/ 437) .

المطلب الثاني : من الآية (140 إلى 147)

أوجه المناسبات في الآيات {140، 141} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ :-

قال الإمام السعدي :

(أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي ﴿ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ ﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي

والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿ إِنَّكُمۡ إِذٗا ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿ مِّثۡلُهُمۡ ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها)[1] .

يقول السعدي بعد أن بين معنى الآيات الدالة على التحذير من مجالس الفاسقين :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ الحديد:13 إلى آخر الآيات)[2] .

بين الإمام معنى الآية الدالة على التحذير من مجالس الفاسقين ، ثم ربط بينها و التالية لها ، و وضح التضاد في ذكر الله تعالى ، للمؤمنين و الكافرين و أن للمؤمنين

﴿ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وللكافرين ﴿ نَصِيبٞ ﴾ لأنه لا يكون لهم نصيب غير مستقر من الله عز و جل . ثم أورد آية سورة الحديد مناسبة للمعنى المذكور .

---

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 210) .

[2] / المصدر السابق ، (ص: 210) .

أوجه المناسبات في الآيات {142، 143} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ :-

يقول السعدي :

(يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات وشنائع السمات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها، خداع لأنفسهم. وأي خداع أعظم ممن يسعى سعيا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟ "

ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورآها حسنة، وظنها من العقل والمكر، فلله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه.

ومن خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ الحديد: ١٣ - ١٤ إلى آخر الآيات.

" و " من صفاتهم أنهم﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ – إن قاموا– ا لتي هي أكبر الطاعات العملية ﴿ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله ا لى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل ، ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله، فلهذا ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته) [1].

وضح السعدي – رحمه الله – الربط بين الآيتين ، و ذلك بذكر التضاد و بيانه في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ ، فذكر السعدي ، أن المقصود هو ، فريق المؤمنين ، و فريق الكافرين . ثم ذكر آية سورة الحديد التي تؤكد حال حسرة المنافقين يوم القيامة ، ثم ربط أول السورة بآخرها ، هذا بإشارته إلى من يتصفون بصفة النفاق أنهم الله لن يهدهم إلى الصراط امستقيم .

أوجه المناسبات في الآية {144} :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ ﴾ :-

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 211) .

قال الإمام السعدي – رحمه الله – :

(لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن ﴿ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب.

وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يعذب أحدا قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا) [1].

جمع السعدي هذه الآية ، بسابقتها بالتضاد (المؤمنين و الكافرين) ، و بين أن من يتصف بصفات المنافقين الذميمة ، فإن ذلك سبب في عقابه من الله عز و جل و عذابه .

أوجه المناسبات في الآيات 145 – 147} :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ :-

يقول السعدي :

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 211) .

(يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات. ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ له الظواهر والبواطن ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم . ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان لِلَّهِ فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: وَأَصْلَحُواْ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا المقام الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم. بل قال: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لأن هذه القاعدة الشريفة –لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد، إذا كان السياق في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم.

ثم أخبر تعالى عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه فقال: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحملين لأجله الأثقال، الدائبين في الأعمال، جزيل الثواب وواسع الإحسان. ومن ترك شيئا لله أعطاه الله خيرا منه.

ومع هذا يعلم ظاهركم وباطنكم، وأعمالكم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأي شيء يفعل بعذابكم؟ فإنه لا يتشفى بعذابكم، ولا ينتفع بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل المطيع لنفسه.

والشكر هو خضوع القلب واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه) [1].

[1] / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 211) .

و يقول البقاعي بعد أن وضح طبقات المنافقين في النار : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

(ولما أخبر أنهم من هذا المحل الضنك، أخبر بدوامه لهم على وجه مؤلم جداً فقال :

﴿ وَلَن تَجِدَ ﴾ أي أبداً ﴿ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ وأشار بالنهي عن موالاتهم وعدم نصرهم إلى ختام أول الآيات المحذرة من الكافرين لَهُمْ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ النساء: ٤٥ .

ولما كان فيما تقدم أن الغفران للكافر –أعم من أن يكون منافقاً أولاً – متعذر، وأتبعه ما لاء مه إلى أن ختم بما دل على أن النفاق أغلظ أنواع الكفر استثنى منه دلالة على أن غيره من الكفرة في هذا الاستثناء أولى، تنبيهاً على أن ذلك النفي المبالغ فيه إنما هو لمن مات على ذلك، ولكنه سيق على ذلك الوجه تهويلاً لما ذكره في حيزه وتنفيراً منه فقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ أي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم والإقلاع ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ أي أعمالهم الظاهرة من الصلاة التي كانوا يراؤون فيها و غيرها بالإقلاع عن النفاق ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي اجتهدوا في أن تكون عصمتهم – أي ارتباطهم – بالملك الأعظم في عدم العود إلى ما كانوا عليه ...) [1].

[1] / أُنظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/ 444) ، (5/ 445) .

يشتمل هذا المقطع على عطف عدد من الأشياء بعضها ببعض ، يلاحظ بيان السعدي لها كما وضح ، أن من تاب من المنافقين و أصلح و اعتصم بالله ؛ فإن ذلك يدعو لأن يكون من المؤمنين الذين وعدهم الله تعالى بنيل الأجر العظيم منه . و بعد أن ربط الإمام بين أجزاء هذه الآيات ؛ بين مناسبة ذكر الله الحسنى ، (الشكور ، و العليم) لمقتضى ما ورد في الآيات .

أما البقاعي فيذكر الربط بين هذه الآيات الدالة على عدم نصرة الله تعالى للمنافقين ؛ و ذلك ، بأن جاء بالآية (45)من ذات السورة مناسبةً لها ، مما يوضح ترابط السورة ، ووحدتها الموضوعية .

خاتمة لهذا الجزء :

يلاحظ في هذا الجزء من تفسير الإمام السعدي ؛ أنه قد ربط جميع آياته بالعديد ، من أنواع المناسبات . فتميز ذكره للمناسبات بجمع المقاطع والتسلسل فيها ، حيث يتنقل من آية إلى أخرى ومن ثم يجمع الآيتين ، ثم ببيقية أجزاء المقطع ، مما يجذب القارئ لهذا التفسير القيم . كما أنه يذكر في كثير من الأحيان آيات من سور أخرى يناسب بها الآية المراد شرحها ، و هذا من أحسن أنواع التفسير (تفسير القرءان بالقرءان) . كذلك يؤكد – رحمه الله – في بعض الآيات أن ذكر الأول سبب للثاني ، و في بعض الأحيان يذكر عدد من الفوائد التي تضمنتها الآيات . أما مناسبة ذكره لأسماء الله الحسنى التي ترد في سياق الآيات ؛ فهذا ما تفرد به تفسيره العظيم . جزاه الله عنا و عن المسلمين خير الجزاء بما قدم لهم من درر العبارات المتناسقة التي تبين كلام الله عز و جل .

الخاتمة :

بعد إعداد هذا البحث توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج و التوصيات :

النتائج :

1. أن علم المناسبات من علوم القرءان الهامة التي تعين على تدبر القرءان الكريم ، و الوصول إلى المقاصد من السورة و حسن الفهم و دقته مما يرسخ الإيمان في القلب .
2. توضح المناسبات ترابط أجزاء القرءان بعضه ببعض ، و تآلفه و ما يحويه من صور بلاغية بديعة و أساليب فنية تنم عن جماله و عظمة من أنزله جل شأنه .
3. للعلماء أقوال متعددة في إثبات المناسبات ، و لكن الراجح فيها أنها تقع في القرءان الكريم إذا كانت من دون تكلف .
4. أن الإمام السعدي من أئمة علماء التفسير الذين لهم الدور الكبير في إبراز المناسبات و بيان معاني القرءان و كشف أسراره بأُسلوب سهل و عبارة جزلة .
5. تميز تفسير السعدي بالإيجاز و الإجمال مع وضوح العبارة و قوة المعنى .
6. يذكر الإمام دائما مناسبة ذكر أسماء الله الحسنى مع ما يتضمنه سياق الآية من المعنى ، مع ملاحظة أن غالب ختام آيات سورة النساء ، بأسماء الله الحسنى ، كما يذكر – رحمه الله – بعض الفوائد التي يستنبطها من الآية أو المقطع .

التوصيات :

1. توصي الباحثة بمزيد من إعداد الدروس و البحوث العلمية حول موضوع علم المناسبات .
2. وايضاً إقامة الندوات و المنتديات لبيان أوجه الإعجاز في القرءان الكريم ليقوى الإيمان ويرسخ في القلوب .
3. كما توصي الباحثة بالرجوع إلى تفسير الإمام السعدي و دراسته دراسة متأنية لإستخراج ما بينه من دُرر المناسبات و الربط البديع بين الآيات و المقاطع .

الفهارس

تتكون الفهارس من الآتي :

فهرس الآيات القرءانية

فهرس الأحاديث و الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الغريب و المصطلحات

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس القبائل

فهرس المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

سورة الفاتحة

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾	4 – 3	38
2	﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾	5	29
3	﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾	6	35

سورة البقرة

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ۝٢ ﴾	2-1	35
2	﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾	4	44
3	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	6	40
4	﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾	23	40
5	﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾	48	73
6	﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾	245	74

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
7	﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ ﴾	219	77
8	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	115	81
9	﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ ﴾	111	138-209
10	﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾	112	142
11	﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾	257	93

سورة آل عمران

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	3	44
2	﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾	4-3	44

سورة النساء

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ ﴾	41	104
2	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ ﴾	82	170

3	﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ ﴾	147	109- 243- 244- 245
4	﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾	24	107
5	﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾	25	108
6	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾	26	110
7	﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾	28-27	112
8	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾	30-29	114
9	﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾	31	116
10	﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾	32	117
11	﴿ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾	33	119
12	﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ ﴾	34	120
13	﴿ حَٰفِظَٰتٞ قَٰنِتَٰتٞ ﴾	35	122
14	﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	38-36	124

15	﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	39	126
16	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾	42-40	127
17	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾	43	129
18	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾	46-44	131
19	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾	47	134
20	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	48	135
21	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾	50-49	138
22	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	57-51	140
23	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	59-58	142
24	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾	63-60	145
25	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾	65-64	146
26	﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم ﴾	68-66	148
27	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾	70-69	150
28	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾	74-71	151
29	﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	75	155

30	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾	76	156
31	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	78-77	158
32	﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾	80-78	161
33	﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾	81-80	163
34	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾	82	165
35	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴾	83	166
36	﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ ﴾	84	168
37	﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ ﴾	86-85	169
38	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ ﴾	87	171
39	﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ ﴾	91-88	173
40	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ ﴾	92	174
41	﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾	93	176
42	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾	94	177
43	﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	96-95	179
44	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ ﴾	99-97	182

45	﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴾	100	184
46	﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	102-101	186
47	﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾	103	191
48	﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ﴾	104	192
49	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	113-105	194
50	﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ ﴾	114	199
51	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾	115-116	201
52	﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾	121-117	203
53	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖۖ ﴾	122	205
54	﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾	124-123	209
55	﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾	125	211
56	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	126	212
57	﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ ﴾	127	213
58	﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗاۚ ﴾	128	216

59	﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ﴾	129	217
60	﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾	130	218
61	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾	132-131	220
62	﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ ﴾	134-133	222
63	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾	135	223
64	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	136	226
65	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ ﴾	137	228
66	﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	139-138	229
67	﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ ﴾	141-140	232
68	﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾	143-142	234
69	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾	144	235
70	﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾	146-145	236

سورة المائدة

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾	1	99
2	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾	18	138
3	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ ﴾	26 – 25	90
4	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾	38	74
5	﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ﴾	72	140
6	﴿ ٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴾	90	77

سورة الأنعام

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾	19	162
2	﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	54	35
3	﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾	89	154

4	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾	90	29
5	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	93	79
6	﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ ﴾	142	32
7	﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ ﴾	144	32

سورة الأعراف

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾	16	40
2	﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾	131	161

سورة الأنفال

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾	4	39-31
2	﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	5	39
3	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾	60	156

5	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	45-64	31-198

سورة التوبة

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	2	31
2	﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾	129	31

سورة يونس

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ ﴾	2	31
2	﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾	26	81
3	﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ﴾	98	137
4	﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾	109	31

سورة هود

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	1	54

سورة الحجر

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	45 – 50	87

سورة النحل

1	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	3 – 6	94
2	﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ ﴾ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44–46	194
3	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾	103	هـ

سورة الإسراء

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ ﴾	107	54

سورة الكهف

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾	103- 104	203

سورة مريم

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾	76	78

سورة طه

1	﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾	5 – 1	38
2	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	23 – 1	28
3	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	124	78

سورة الأنبياء

1	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾	24 – 21	88
2	﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾	79	181

سورة المؤمنون

1	﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	1	30
2	﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	117	30

سورة الفرقان

1	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	1	36
2	﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾	3	89
3	﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾	54	18

سورة الشعراء

1	﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ ﴾	101 -100	135

سورة النمل

1	﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ ﴾	49	161

سورة القصص

1	﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ ﴾	7	30
2	﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	17	30

سورة العنكبوت

1	﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	56	182

سورة لقمان

1	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	9 – 5	87

سورة السجدة

1	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾	17	159
2	﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾	21	79

سورة سبأ

1	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾	54	35

سورة يس

1	﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾	74- 75	89

سورة ص

	﴿ . َةَ إِلَهً ا و َ احِ د ًا ﴾	5	33
2	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	29	165

سورة الصافات

1	﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	50 - 51	91
2	﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	180- 182	100

سورة الزمر

1	﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ ﴾	47	74
2	﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ﴾	73	140

سورة غافر

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾	46	79

سورة فصلت

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾	3	37-46

سورة الشورى

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾	52	203

سورة الدخان

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴾	43 – 50	87

سورة محمد

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	24	46

سورةالفتح

1	﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾	9	164
2	﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾	17 – 24	183

سورة الحجرات

1	﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	9 10	200
2	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	14	157

سورة الذاريات

1	﴿ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	58	219

سورة الطور

1	﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ﴾	5 – 1	38
2	﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ ﴾	49	35

سورة النجم

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	1	35

سورة الرحمن

1	﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾	13 – 1	96
2	﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	13	37

سورة الواقعة

1	﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴾	70 – 68	89
2	﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾	96 – 88	95

سورة الحديد

1	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾	4	39
2	﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾	10	181
3	﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾	16	111

سورة الحشر

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾	24 - 22	82

سورة الصف

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	12 – 10	180
	﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾	5	201

سورة التغابن

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ ﴾	7	171

سورة الإنسان

1	﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾	3 – 1	98
2	﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾	5 – 4 27	100

سورة المرسلات

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	15	37

سورة النبأ

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾	40	128

سورة عبس

1	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾	4 – 1	91

سورة الغاشية

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾	22 – 21	164

سورة العلق

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾	5	30

سورة الضحى

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ ﴾	1	27
2	﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾	11	27

سورة الزلزلة

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	8 – 7	127

سورة قريش

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾	4 – 1	97

سورة المسد

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾	5	36

سورة الإخلاص

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	4 – 1	36

فهرس الأحاديث و الآثار

م	طرف الحديث	المخرج	الراوي	الصفحة
	(اقرأ علي القرآن)	البخاري	عبد الله بن مسعود	**104**
	(أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا)	مسلم	أبو هريرة	**159**
	(إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)	مسلم	أبو هريرة	**189**
	(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)	البخاري	عبد الله بن عمرو	**84**
	« ما لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة »	مسلم	عبد الله بن مسعود	**76**

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
1	إبراهيم بن حمد بن جاسر .	63
2	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن أبي بكر البقاعي .	21
3	ابن ٰقَيم الجوزية الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله.	58
4	ُو َسـَن ِ ُمَّاني .	52
5	أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي .	21
6	أبو جعفر بن الزبير بن الزبير الثقفي الغرناطي .	23
7	أبو حيان النحوي محمد بن علي .	23
8	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية .	58
9	أحمد بن محمد بن علي الشوكاني .	49
10	أحمد محمد بن بن حنبل .	58
11	الحافظ جلال الدين السيوطى .	20
12	الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني .	18
13	حميد الدين الأنصاري الفراهي .	25

14	سيد قطب .	**105**
15	صالح بن عبد الرحمن القاضي .	**63**
16	صعب التويجري .	**63**
17	عبد الله الحسيني الآلوسي .	**36**
18	عبد الله بن عايض .	**63**
19	عبد الله بن محمد النيسابوري .	**24**
20	عبد الله بن مسعود .	**76**
21	عز الدين بن عبد السلام .	**49**
22	علي السناني .	**63**
23	علي بن محمد الشهرباني .	**24**
24	علي بن ناصر أبو وادي .	**63**
25	فخر الدين الرازي .	**23**
26	محمد الطاهر بن عاشور .	**103**
27	محمد بن أحمد الذهبي .	**s24**
28	محمد بن أحمد ولي الدين الملوي .	**52**

29	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي .	**21**
30	محمد بن حيدر الكفوي .	**20**
31	محمد بن عبد الكريم الشبل .	**63**
32	محمد بن مانع .	**63**

الغريب و المصطلحات

م	الكلمة	الصفحة
1	﴿ طَوۡلًا ﴾	108
2	﴿ ٱلۡعَنَتَ ﴾	108
3	﴿ نَصِيبٌ ﴾	117
4	﴿ رِئَآءَ ﴾	125
5	﴿ نَّطۡمِسَ ﴾	134
6	﴿ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾	140
7	﴿ ثُبَاتٍ ﴾	151
8	﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾	151
9	﴿ كِفۡلُۥ ﴾	170
10	﴿ مُّقِينًا ﴾	170
11	﴿ أَرۡكَسَهُم ﴾	173
12	﴿ حَصِرَتۡ ﴾	173

13	﴿ مَّرِيدًا ﴾	209
14	﴿ حَنِيفًا ﴾	211
15	﴿ نُشُوزًا ﴾	216
16	﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾	223
17	﴿ وَحَرِّضِ ﴾	173
18	الإسرائيليات	72
19	السلف الصالح	78
20	**الأصول – الفروع – الحواشي**	119

الأماكن و البلدان

م	البلد	الصفحة
1	عنيزة .	56
2	القصيم .	56

فهرس القبائل

م	القبيلة	الصفحة
1	تميم .	56

المصادر و المراجع

م	المصدر
1	**القرءان الكريم**
2	**حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة** ، لجلال الدين السيوطي ، ط1 ، ج1 مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com .
3	**مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**. للمؤلف عادل بن محمد أبو العلاء . الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة : 129 ، : العدد 37، السنة : 1425هـ .
4	**إِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ** ، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار النشر: مكتبة المعارف –الرياض ، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1987 م .
5	**اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** ، المؤلف : أ ، د / فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي ، الناشر : إدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في المملكة العربية السعودية ، برقم 951 ، تاريخ : 1406/8/5هـ، الطبعة الأولى : 1407هـ - 1986م .

6	**الإتقان في علوم:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1394هـ/ 1974 م .
7	**أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية** ، المؤلف : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار،الاستاذ بجامعة القصيم ضحوة الخميس 1412/4/10هـ .
8	أساس **البلاغة المؤلف** : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله مصدر الكتاب : موقع الوراق ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار النشر: دار الفكر – 1399هـ 1979م .
9	**الأساس في التفسير** ، المؤلف ، سعيد حوّى ، الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ .
10	**أسرار ترتيب القرآن** ،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
11	**الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير** ، المؤلف : الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة . رحمه الله . الناشر : مكتبة السنة ،عدد الأجزاء / 1، الطبعة الرابعة .
12	**الأعلام للزركلي** ـ المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي الدمشقي الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة / مايو 2002
13	**البرهان فى تناسب سور القرآن** . المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي

	الغرناطي، أبو جعفر ، تحقيق: محمد شعباني ، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب ، عام النشر: 1410 هـ - 1990 م .
14	**نظم الدرر في تناسب الايات** والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
15	**البرهان في علوم القرآن** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، 1376 هـ - 1957 م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .
16	**التحرير و التنوير** ، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ، سنة النشر: 1984 هـ . دار النشر : دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية : 2002 م . 1424 هـ .
17	**ترجيحات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في التفسير** جمعا ودراسة ، إعداد الطالب / عبد الله بن أحمد زقيلي ، إشراف الدكتور / عبد العزيز بن ناصر السبر ، الجزء الثاني ، العام الجامعي : 1425هـ / 1426هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كلية أصول الدين ، قسم القرءان و علومه ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرءان و علومه .

18	**التفسير والمفسرون** – المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهر ة .
19	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م .
20	**التيسير في أصول واتجاهات التفسير** ، المؤلف: عماد علي عبد السميع ، الناشر: دار الإيمان – الإسكندرية ' تاريخ النشر: 2006عدد الأجزاء: 1.
21	**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه** وأيامه ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ،الطبعة: الأولى، 1422هـ .
22	**الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء و الأعيان من أساتذة و خلان** ، تأليف العلامة الفقيه : زكريا عبد الله بيلا ، دراسة و تحقيق : عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، و محمد إبراهيم أحمد علي ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط : 1427هـ – 2000م .
23	**الرد الوافر** ، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى:

	842هـ) ، المحقق: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، 1393.
24	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1415 هـ .
25	**روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد و حوادث السنين** ، لمؤلفه : محمد بن عثمان القاضي بعنيزة ، الطبعة الأولى 1400هـ – 1980م ، مطبعة الحلبي .
26	**سير أعلام النبلاء** ،المؤلف : مس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَ هَ بي ،المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، 1405هـ – 1985م .
27	**الشيخ عبد الرحمن بن سعدي و جهوده في توضيح العقيدة** ، المؤلف عبد الرزاق عبد المحسن البدر ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض المملكة العربية السعودية ، الطبعة : 11 ، 1418هـ – 1998م .
28	**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م .
29	**صفوة التفاسير** ، المؤلف: محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة

	والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م .
30	**علماء نجد للبسام** ، المؤلف ، الشيخ عبد الله البسام بن عبد الرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديثة ، 1398هـ .
31	**غريب القرآن** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المحقق: أحمد صقر ، الناشر: دار الكتب العلمية ، السنة: 1398 هـ – 1978 م .
32	**فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – 1414 هـ .
33	**فوات الوفيات** : محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بنشاكر الملقب بصلاح الدين : المحقق : إحسان عباس . دار صلاح بيروت . الطبعة الأولى : 1973م .
34	**الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة و الجماعة** المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1422هـ .
35	**في ظلال القرآن** . المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي .الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة .الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ .
36	**القاموس المحيط** المؤلف: العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

	تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: حمد نعيم العرقسُوسي – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م .
37	**لسان العرب** ، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ .
38	**مباحث في علوم القرآن** ، المؤلف: مناع بن خليل القطان ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ .
39	**مختار الصحاح** المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م .
40	**مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع** – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر ، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1426 هـ .
41	**المستدرك على الصحيحين** ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن

	البيع (المتوفى: 405هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1990م.
42	**المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم** ، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1417 هـ – 1996 م ، الطبعة : الأولى .
43	**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت .
44	**معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، وسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م .
45	**معجم البلدان** ، المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، الناشر ، دار الفكر لبنان .
46	**المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين** ، . المؤلف : أعضاء ملتقى أهل الحديث .
47	**معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»** 29 / المؤلف: عادل نويهض ،قدم له:فتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد ، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر

	بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ – 1988 م .
48	**المعجم الوسيط** . . المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية .
49	**معجم قبائل العرب القديمة** و الحديثة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، 1414هـ – 1994م .
50	**المفردات في غريب القرآن** المؤلف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى . المحقق: صفوان عدنان الداودي . الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت . الطبعة: الأولى – 1412 هـ .
51	**مناسبات الآيات والسور** ، المؤلف: أ. د. أحمد حسن فرحات ، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
52	**مناهل العرفان في علوم القرءان** ، مناهل العرفان في علوم القرءان ، المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : أحمد زمرلي ، دار النشر : الكتاب العربي – بيروت ، سنة الطبع 1415هـ – 1995م .
53	**الموسوعة القرآنية خصائص السور** .، المؤلف: جعفر شرف الدين . المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي . الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت . الطبعة: الأولى – 1420 هـ .

54	**موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية** . المؤلف : أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراواي ، الناشر : المكتبة الإسلامية للنشر و التوزيع ، القاهرة – مصر ، النبلاء للكتاب ، مراكش – المغرب ، الطبعة الأولى .

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
1	البسملة	د
2	الإستهلال	هـ
3	الإهداء	و
4	شكر و عرفان	ز
5	مستخلص البحث (عربي – إنجليزي)	ح – ط
6	مقدمة البحث	1

الفصل الأول : أساسيات البحث و الدراسة

7	المبحث الأول : أسباب إختيار الموضوع – أهمية البحث – أهداف البحث – مشكلة البحث – فروض البحث .	3 – 5
8	المبحث الثاني : منهج البحث – حدود البحث – مصطلحات البحث – وسائل و أدوات البحث .	6 – 7
9	الدراسات السابقة – هيكل البحث .	8 – 16

الفصل الثاني : المناسبات في القرءان الكريم

10	المبحث الأول : مفهوم المناسبات و نشأة علم المناسبات	**25 – 18**
11	المطلب الأول : مفهوم المناسبات .	**22 – 18**
12	المطلب الثاني : نشأة علم المناسبات .	**25 – 23**
13	المبحث الثاني : أنواع المناسبات .	**40 – 26**
14	المطلب الأول : المناسبات بين المقاطع و الموضوعات .	**28 – 26**
15	المطلب الثاني : المناسبات بين السور .	**36 – 29**
16	المطلب الثالث : المناسبات بين الآيات و الفواصل .	**40 – 37**
17	المبحث الثالث : فوائد المناسبات و أقوال العلماء فيها .	**54 – 41**
18	المطلب الأول : فوائد المناسبات .	**48 – 41**
19	المطلب الثاني : أقوال العلماء في المناسبات .	**54 – 49**

الفصل الثالث : التعرف بالإمام السعدي و منهجه في التفسير

20	المبحث الأول : التعريف بالإمام السعدي .	**67 – 56**
21	المطلب الأول : نشأته ، مكانته العلمية	**62 – 56**

	ثناء العلماء عليه .	
22	المطلب الثاني : شيوخه ، تلاميذه ، مصنفاته ، غايته من التصنيف ، وفاته .	**67 – 63**
23	المبحث الثاني : منهج السعدي في التفسير .	**85 – 68**
24	المطلب الأول : التعريف بكتابه .	**72 – 68**
25	المطلب الثاني : منهج السعدي في التفسير .	**85 – 73**
26	المبحث الثالث : منهج السعدي في إبراز المناسبات .	**101–85**
27	المطلب الأول : المناسبات بين الآيات في تفسيره .	**93 – 86**
28	المطلب الثاني : المناسبات بين السور في تفسيره .	**101–94**

الفصل الرابع : أوجه المناسبات في سورة النساء (الجزء الخامس)

29	المبحث الأول : التعريف بالسورة و أوجه المناسبات من الآية (24 إلى 35)	**123–103**
30	المطلب الأول : التعريف بالسورة المطلب الثاني : أوجه المناسبات من الآية (24 – 35)	**106–103** **123–107**
31	المبحث الثاني : وجه المناسبات من الآية (36 – 59)	**144–124**

32	المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية (36 – 48)	137-124
33	المطلب الثاني : أوجه المناسبات من الآية (49 – 59)	144-138
34	المبحث الثالث : أوجه المناسبات من الآية (60 – 87)	177- 145
35	المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية (60 – 74)	154- 145
36	المطلب الثاني : أوجه المناسبات من الآية (75 – 87)	171- 155

الفصل الخامس : أوجه المناسبات من الآية (88 – 147)

37	المبحث الأول : أوجه المناسبات من الآية (88– 113)	198-173
38	المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية (8 – 100)	185-173
39	المطلب الثاني : أوجه المناسبات من الآية(101–113)	198-186
40	المبحث الثاني : أوجه المناسبات من الآية(114– 130)	219-199
41	المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية(114– 122)	208-199
42	المطلب الثاني : أوجه المناسبات من الآية(123–130)	219-209
43	المبحث الثالث : أوجه المناسبات من الآية(131–147)	240-220
44	المطلب الأول : أوجه المناسبات من الآية(131–139)	231-220
45	المطلب الثاني: أوجه المناسبات من الآية(140–147)	240-232

46	الخاتمة	**242**
47	الفهارس	**284-244**